النزعة الفردية فى فلسفة نيتشه

وأثرها فى الإلحاد المعاصر

"عرض ونقد"

الباحث

د/ أحمد عبد الحميد سيد أحمد

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة

كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

جامعة الأزهر، مصر

النزعة الفردية فى فلسفة نيتشه وأثرها فى الإلحاد المعاصر " عرض ونقد"

أحمد عبد الحميد سيد أحمد
قسم: العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط ، جامعة الأزهر، مصر
البريد الإلكتروني: ahmedabdelhamed4819@azhar.edu.eg

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى مناقشة مفهوم النزعة الفردية عند نيتشه وأثرها فى الإلحاد المعاصر حيث كان من أبرز النماذج الإلحادية المتطرفة، فيلسوف المطرقة " نيتشه "، وحقًا هو حريٌ بهذا اللقب ــ المطرقة ــ لأنه لم يطرق شيئًا إلا وحاول أن يدمره، سواءٌ أكان في الدين، أو فى الفكر، أو فى الوجود بصفة عامة، وذلك عن طريق الثورة عليه، وصياغته بصياغة سلبية فذة تخالف جميع الأطر، والمفاهيم التي وضعت له، وخير دليل على هذا أنه عندما تناول فكرة الوجود الإنساني حرفها وردها إلى الطبيعة، ولم يُرجعها إلى أصل إنساني من خلق الله، بل جعل الإنسان طورًا من تطورات الطبيعة، مما جعله يلتقي مع " الفلسفة الداروينية " التي تؤمن بفكرة " النشوء والارتقاء " قلبًا وقالبًا، هذا بالإضافة أيضاً إلى أنه قد وصف البشرية منذ تطورها ــ من الحيوانية إلى الإنسانية ــ وحتى اللحظة الراهنة التي كان يعيش فيها بأنها عشوائية، وتسير في عماء، بدون ضابط، أو مُقنن، أو مُشرع، ولا يوجد فيها من يستحق أن يطلق عليه لقب إنسان حقيقي، أو إنسان جدير بالاحترام، مما حدا به إلى ابتكار فكرة الإنسان الخيالية، والتي أطلق عليها " السوبر مان " أو " الإنسان الأعلى " الذي لم يوجد، ولن يوجد، ولكنه يسعى إلى إبرازه ووجوده، بعد أن صرح علانية، وبدون خجل أن " الإله قد مات " وأن العالم يخلو من الآلهة، هذا علاوة على أنه توجه إلى الوجود الميتافيزيقي بما يشتمل عليه من الغيبيات، فأنكرها جميعًا وحاول أن يقوضها، وقدم العالم الطبيعي عليها، حتى أن الجوانب الأخلاقية التي أرستها جميع الديانات، لم تسلم من فكره الشاذ، ومن مطرقته، حيث ثار عليها، وأنكرها، وحاول أن يُرسىَ أخلاقًا نفعية تتناسب مع مذهبه الشاذ المنحرف، مما جعله يمتاز عن جميع الفلاسفة الذين سبقوه، أو عاصروه بـ " نزعته الفردية الإلحادية المتطرفة والغير مسبوقة " التي التقت مع الإلحاد المعاصر قلباً، وقالباً، كل هذه الجوانب الفكرية السلبية التي اكتنفت فلسفة " نيتشه "والتي تنبع من نزعته الفردية المتطرفة، والتي نتج عنها بالضرورة فكره الإلحادي الشاذ، الذى يغذى الإلحاد المعاصر، ويقويه، جعلتني أتطلع إلى التنقيب في فكر " نيتشه "، وأكشف عن عواره، وقصوره في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: النزعة ، الفردية ، نيتشه ، الإلحاد ، المعاصر.

Individualism in Nietzsche's Philosophy and Its Impact on Contemporary Atheism: A Presentation and Critique

Ahmed Abdel Hamid Sayed Ahmed
Department of Creed and Philosophy, Faculty of Usul al-Din and Da'wah in Assiut, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt
Email: ahmedabdelhamed4819@azhar.edu.eg

Abstract

This research aims to explore the concept of individualism in Nietzsche's philosophy and its influence on contemporary atheism. Among the most extreme models of atheistic thought stands the "philosopher of the hammer" — Nietzsche. Truly, he deserves this title, for he struck at everything he encountered — whether in religion, thought, or existence as a whole — in a revolutionary, deconstructive manner that opposed all established frameworks and concepts. A clear example of this is his treatment of human existence: he distorted its meaning and reduced it to nature, denying its divine origin, and instead portrayed man as a mere stage in the evolutionary process. In doing so, he aligned closely with Darwinian philosophy, embracing the theory of evolution entirely.

Furthermore, Nietzsche depicted the development of humanity — from animality to what he considered humanity — as arbitrary, blind, and devoid of order, law, or a worthy exemplar of a true human being. This led him to invent the notion of a fictional human — the Übermensch or "Superman" — a being that has never existed and never will, but which he aspired to bring into existence. He openly and unapologetically declared that "God is dead" and that the world is devoid of deities. Moreover, he rejected metaphysical existence and all associated unseen realities, prioritizing the material world over the spiritual. Even the ethical systems established by all religions did not escape his radical thinking and hammer, as he rebelled against them, rejected them, and sought instead to establish utilitarian ethics consistent with his deviant and perverse doctrine.

Nietzsche thus distinguished himself from all preceding and contemporary philosophers with his unprecedented and extreme individualistic atheism, which aligns completely with the essence and core of modern atheism. All these negative intellectual aspects of Nietzsche's philosophy — rooted in his radical individualism — have inevitably given rise to his deviant atheistic thought, which continues to nourish and strengthen contemporary atheism. These factors have motivated me to delve into Nietzsche's thought in this study, to expose its flaws and limitations.

Keywords: Individualism , Nietzsche , Atheism , Contemporary, Thought

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعَدَّله، ووهبه العقل السليم وقومَّه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله.

وبعد

فإن من أعظم المنن والهبات التي امتن بها المولى (ﷻ) على البشرية نعمة العقل، فبالعقل يتميز الإنسان عن الحيوانات، والجمادات، وسائر المخلوقات، وبالعقل يستطيع الإنسان أن يميز بين الحق والباطل، والغث والسمين، لذا أمرنا الشرع بإعماله، واستخدامه، ونهانا عن تعطيله، وإهماله كي يسعد الإنسان في دنياه، وأُخراه.

وعلى الرغم من أن المولى (ﷻ) وهب الإنسان العقل السليم الذي يوصل للحق، إلا أن البعض أبى إلا أن يقابل هذا العطاء الكريم بالجحود والنكران، عن طريق استخدامه في غير منهجه القويم، وموضعه السليم الذي وضع له، فراح يضرب به يمينًا ويسارًا، وشرقًا وغربًا، بدون هوادة، أو وازع، أو دليل، وعلى رأس هؤلاء الذين ضلوا الطريق، ولم يحسنوا استخدام العقل مما يدَّعُون أو يَدعُوهم البعض برواد الفكر الغربي الحديث والمعاصر، هذه الشرذمة التي سارت على هواها، وعماها، وثارت على كل المسلمات الدينية، والعقلية، وأنكرت جميع الضوابط الاجتماعية، والاقتصادية، وحتى السياسية، وحاولت أن تصيغها بصياغة لا تتوافق مع أدنى درجات التفكير المنطقي السليم، أو حتى مسلمات القوانين الطبيعية العادية، حتى أصبح من خصائص الفكر الفلسفى

الحديث والمعاصر التي أجمع عليها المؤرخون، " النزعة الفردية المتطرفة " هذه النزعة التي تنكر الدين، والأخلاق، والنظم الاجتماعية، وترد الوجود كله إلى الطبيعة، أو العالم المادي المحسوس، مما جعلها تستحق أن يُطلق عليها " فلسفة إلحادية ".

وقد كان من أبرز هذه النماذج الإلحادية المتطرفة، فيلسوف المطرقة " نيتشه "، وحقًا هو حريٌ بهذا اللقب ـ المطرقة ـ لأنه لم يطرق شيئًا إلا وحاول أن يدمره، سواءٌ أكان في الدين، أو فى الفكر، أو فى الوجود بصفة عامة، وذلك عن طريق الثورة عليه، وصياغته بصياغة سلبية فذة تخالف جميع الأطر، والمفاهيم التي وضعت له.

وخير دليل على هذا أنه عندما تناول فكرة الوجود الإنساني حرفها وردها إلى الطبيعة، ولم يُرجعها إلى أصل إنساني من خلق الله، بل جعل الإنسان طورًا من تطورات الطبيعة، مما جعله يلتقي مع " الفلسفة الداروينية " التى تؤمن بفكرة " النشوء والارتقاء " قلبًا وقالبًا، هذا بالإضافة أيضاً إلى أنه قد وصف البشرية منذ تطورها ـ من الحيوانية إلى الإنسانية ـ وحتى اللحظة الراهنة التي كان يعيش فيها بأنها عشوائية، وتسير في عماء، بدون ضابط، أو مُقنن، أو مُشرع، ولا يوجد فيها من يستحق أن يطلق عليه لقب إنسان حقيقي، أو إنسان جدير بالاحترام، مما حدا به إلى ابتكار فكرة الإنسان الخيالية، والتي أطلق عليها " السوبر مان " أو " الإنسان الأعلى " الذي لم يوجد، ولن يوجد، ولكنه يسعى إلى إبرازه ووجوده، بعد أن صرح علانية، وبدون خجل أن " الإله قد مات " وأن العالم يخلو من الآلهة، هذا علاوة على أنه توجه إلى الوجود

الميتافيزيقي بما يشتمل عليه من الغيبيات، فأنكرها جميعًا وحاول أن يقوضها، وقدم العالم الطبيعي عليها، حتى أن الجوانب الأخلاقية التي أرستها جميع الديانات، لم تسلم من فكره الشاذ، ومن مطرقته، حيث ثار عليها، وأنكرها، وحاول أن يُرسىَ أخلاقًا نفعية تتناسب مع مذهبه الشاذ المنحرف، مما جعله يمتاز عن جميع الفلاسفة الذين سبقوه، أو عاصروه بـ " نزعته الفردية الإلحادية المتطرفة والغير مسبوقة " التى التقت مع الإلحاد المعاصر قلباً، وقالباً.

هذا والجدير بالذكر أنه على الرغم من إجماع الكثيرين من المفكرين ـ شرقًا وغربًا ـ على شذوذ أفكار " نيتشه "، ومبادئه، إلا أنه قد شذ عن هذا الإجماع بعض المتطرفين الذين ساروا على خطاه، وتبنوا مبادئه، وأفكاره، وحاولوا أن يُصدروها، ويُروجوها للعامة تحت مسمى الحرية الفردية، والدعوة إلى إطلاق العنان للإنسانية من قيود الدين، والأخلاق، والنظم الاجتماعية، وإرساء أفكار، ونظم جديدة، تتفق مع أهوائهم، ومصالحهم، حتى وإن خالفت النظم الصحيحة السائدة.

كل هذه الجوانب الفكرية السلبية التي اكتنفت فلسفة " نيتشه "والتي تنبع من نزعتة الفردية المتطرفة، والتى نتج عنها بالضرورة فكره الإلحادى الشاذ، الذى يغذى الإلحاد المعاصر، ويقويه، جعلتني أتطلع إلى التنقيب في فكر " نيتشه "، وأكشف عن عواره، وقصوره في بحث علمي بعنوان:

[النزعة الفردية في فلسفة نيتشه وأثرها فى الإلحاد المعاصر] عرض ونقد

أسباب اختيار الموضوع :

لقد كان وراء اختياري لهذا الموضوع عدة أسباب أهمها :

١- أهمية ومكانة النزعة الفردية فى الفكر الإنساني، خاصة وأنها تعد من أهم الخصائص والسمات التي اتسم بها الفكر الغربي الحديث والمعاصر .

٢- إن الفكر الغربي الحديث والمعاصر حاول أن يُصدر هذه النزعة إلى بلاد العرب والمسلمين تحت مسمى الحرية الفكرية، والدينية، أو في صورة تيارات فكرية، كالليبرالية، والحداثة، وغيرها.

٣- خطورة النزعة الفردية المتطرفة، خاصة وأنها لا تعترف بالدين، ولا بالأخلاق، ولا بالنظم الاجتماعية، والسياسية السائدة.

٤- إن " نيتشه " كان من أظهر الفلاسفة المعاصرين الذين تناولوا فكرة الوجود الإلهي، والإنساني، والأخلاقي، من وجهة فردية، وذاتية متطرفة .

٥- إن " نيتشه " قد ساهم بدور كبير وبارز في نشر النزعة الإلحادية في الفكر الغربي المعاصر تحت مسمى الحرية الفردية، والاعتقادية.

٦- إن أثر فلسفة " نيتشه " المتطرفة، وفكره المنحرف، لم يقتصر على وقته وزمانه الذى عاش فيه فقط، بل جال الزمان والمكان، وتخطى الحواجز والعوالم، حتى وصل إلى اللحظة الراهنة التى نعيش فيها، لدرجة أننا نجد بعض الشباب، والباحثين المتحررين، والملحدين ـ شرقاً وغرباً ـ يقتبسون من أقواله وأفكاره الشاذة، ويعرضونها على صفحات المواقع الإلكترونية، ويشيدون بها وبأهميتها على اعتبار أنها مسلمات عقلية صحيحة، ولا تقبل الشك، مما يجعل الأمر من الخطورة بمكان.

٧- عناية الفكر الإسلامي بصفة عامة، وقسم العقيدة والفلسفة في جامعة الأزهر بصفة خاصة، بدراسة الاتجاهات الفكرية الغربية المتطرفة، وبيان عوارها وزيفها، حتى لا يتأثر بها المجتمع الإسلامي، خاصة وأنها تحمل بريقًا يجذب أنظار الشباب إليها.

منهج البحث :

لقد اعتمدت في مناقشتي لموضوع: " النزعة الفردية في فلسفة نيتشه وأثرها فى الإلحاد المعاصر " على " المنهج التحليلي النقدي "، وقد استخدمت القسم الأول من هذا المنهج ـ الجانب التحليلي ـ في عرض، وتحليل فكرة النزعة الفردية المتطرفة عند " نيتشه " في جانب الوجود، والذى يتمثل فى الوجود الإلهي، والوجود الإنساني، ووجود العالم الطبيعي، بالإضافة إلى عرض، وتحليل نزعته الفردية المتطرفة في الجانب الأخلاقي، أما القسم الثاني من المنهج ـ الجانب النقدي ـ فقد استخدمته في نقد، وتفنيد هذه الآراء، من خلال التعقيب على كل مسألة قمت بعرضها وتحليلها.

خطة البحث :

لقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع، وفهرس لمحتويات البحث على النحو التالي :

- **المقدمة** : سبق بيانها.
- **المبحث الأول** : ويتناول التعريف بالنزعة الفردية، وأنواعها، ونشأتها، وخصائصها.

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول: مفهوم النزعة، وأنواعها .
- المطلب الثاني: نشأة النزعة الفردية، وخصائصها .
- المطلب الثالث: التعريف بـ " نيتشه "، وبمفهوم النزعة الفردية عنده.

- **المبحث الثاني** : النزعة الفردية في فكرة وجود العالم الطبيعي، والإنساني، عند " نيتشه " ويشتمل على مطلبين :

- المطلب الأول : النزعة الفردية في فكرة وجود العالم الطبيعي، وفكرة " العود الأبدي " عند " نيتشه ".
- المطلب الثاني: النزعة الفردية في فكرة الوجود الإنساني عند " نيتشه ".
- تعقيب .

- **المبحث الثالث** : النزعة الفردية في فكرة وجود الله، وسيادة الدين عند " نيتشه ".

ويشتمل على مطلبين :

- المطلب الأول : النزعة الفردية في فكرة وجود الإله عند " نيتشه ".
- المطلب الثاني : النزعة الفردية في فكرة سيادة الدين عند " نيتشه ".
- تعقيب.

- **المبحث الرابع**: النزعة الفردية في الجانب الأخلاقي، وإرادة القوة عند " نيتشه ".

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول : النزعة الفردية في الجانب الأخلاقي عند " نيتشه ".
- المطلب الثاني : النزعة الفردية في فكرة إرادة القوة عند " نيتشه ".

- المطلب الثالث: النزعة الفردية في تقرير فكرة أخلاق السادة والعبيد عند " نيتشه ".
- تعقيب.

- **المبحث الخامس** : أثر نزعة " نيتشه " الفردية فى الإلحاد المعاصر .
- **الخاتمة** : وتشتمل على أهم النتائج، وأهم التوصيات .
- **المصادر والمراجع** : وتشتمل على أهم المصادر، والمراجع التي وردت في البحث .

المبحث الأول
التعريف بالنزعة الفردية وأنواعها ونشأتها وخصائصها

المطلب الأول: مفهوم النزعة وأنواعها

أولاً : مفهوم النزعة :

النزعة: هي الميل والحركة، وتشمل الحاجة، والشهوة، والغريزة، والرغبة وغيرها من ظواهر النشاط التلقائي، يُقال: نَزَعَ إلى أهله نزوعاً أي: حَنَ واشتاق، ويُقال أيضاً : له نزعة إلى كذا أي: ميل ونزوع واشتياق، ومنه قولهم: القوة تنزع إلى الفعل، وكل موجود فهو ينزع إلى الثبات في الوجود، ولذلك قيل: إن النزعة هى ميل الشيء إلى الحركة في اتجاه واحد، كنزوع الجسم إلى السقوط، وقيل أيضاً: إن النزعة قوة مشتقة من إرادة الحياة التى توجه نشاط الإنسان إلى غايات يَجد في الوصول إليها لذة [(١)].

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن النزعة تعد اتجاهًا فكريًا أو جسديًا نحو شيء معين، بهدف تحقيق شيء معين، وهذا الاتجاه أو النشاط في نفس الوقت قد يكون مقصودًا، وقد يكون تلقائيًا، وبصفة عامة الإنسان يحتوي على كم غير متناهي من النوازع، والرغبات منها ما هو مذموم، ومنها ما هو محمود.

ثانيًا : أنواع النزعات الإنسانية:

بناءً على أن الإنسان يشتمل على جانب كبير من المدارك، والعواطف، والانفعالات، فإن النزعات الإنسانية قد تنوعت على النحو التالي :

---

(١) انظر: لسان العرب : جمال الدين بن منظور، ٣٥/٨، مادة نَزَعَ، دار صادر بيروت، ط ٢٠٠٠م، المعجم الفلسفي : د: جميل صليبا، ٤٦٣/٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط ١٩٨٢م.

١- **نزعة هدمية سلبية:** وهي نزعة تميل إلى التدمير، والتقويض، وتخريب كل شيء سواء أكان، أخلاقيًا، أو دينيًا، أو اجتماعيًا.

٢- **نزعة فردية أو ذاتية** : وهي التي تهدف إلى تحقيق هدف صاحبها أو مصلحته، أو إبراز فكره ومنهجه فقط، سواءٌ أكان صحيحاً، أم فاسداً.

٣- نزعة توحيدية : وهي تتعلق بالإيمان بالله تعالى وحده، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر .

٤- نزعة إلحادية: وهى اتجاه سلبي يهدف إلى إنكار الإله، وعدم الاعتراف بقوة خفية أوجدت هذا العالم بجميع أجزائه، أو حتى تدبر أمره، أو تحركه، والنزعة الإلحادية تلتقي مع النزعة المادية.

٥- النزعة القومية: وهي التي تتضمن الولاء للوطن والدفاع عن قضاياه، ضد المعتدين.

٦- النزعة الثورية: وهي التي تهدف من الدرجة الأولى الدفاع عن قضايا التحرر، والثورة على الأنظمة الفاسدة والاستعمارية.

٧- النزعة التأملية: وهي التى تلتقي إلى حد كبير مع الروح الفلسفية التي تتعمق في الوجود بجميع أجزائه، بهدف كشف أفكاره، وحل غوامضه(١).

---

(١) انظر: فلسفة الحضارة الإسلامية، الرؤية الغزالية: د. مشهد العلاف، ص ١٨، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م، المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، ص ٢٠، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية القاهرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، المعجم الفلسفي : د: جميل صليبا، ٤٦٣/٢.

والجدير بالذكر أنه على الرغم من تنوع النزعات الإنسانية إلا أنها تلتقي في الغالب مع النوع الثاني الذي يتمثل في النزعة الذاتية أو الفردية، والتي نحن بصدد الحديث عنها في الموضع القادم – إن شاء الله – .

ثالثاً: مفهوم النزعة الفردية.

بداية تنبغى الإشارة إلى أن كلمة " الفردية " مشتقة من الفرد، والجمع أفراد وفرادى، والفرد مقابل الزوج، وهو ما يتناول شيئًا واحدًا دون غيره، ويكون – أيضًا – بمعنى المتفرد المتميز عن الجماعة، والفرد من الناس هو الرجل المنقطع النظير الذي لا مثيل له في صفاته(١).

فالفردية بالمعنى العام هى ما يتميز به فرد عن آخر من الصفات الجسمية، والعضوية كبنيته، ومزاجه، وحساسيته، وذوقه وأفكاره، وكل ما من شأنه أن يحمله ذا خلق فريد، وطابع خاص، والفردية بالمعنى الخاص مرادفه للشخصية، إلا أن البعض يرى أن الفردية هي مجموع الصفات التي يتميز بها الفرد عن أفراد نوعه أو مجتمعه، في حين أن الشخصية هي مجموع الصفات التي تجعل الفرد صالحًا للحياة في مجتمع روحي معلوم، وقد تطلق الفردية على ما يتصف به الكائن العاقل من الأصالة، أو البعد عن التقليد أو النزوع إلى التحرر(٢).

ومن خلال ما سبق يمكن القول إن النزعة الفردية لا تختلف كثيرًا عن الاتجاه الشخصي، أو الذاتي، هذا علاوة على أن هذه النزعة قد تكون محمودة،

---

(١) انظر : لسان العرب : جمال الدين بن منظور : ٣٣١/٣، مادة (فرد)، التعريفات : للجرجاني،تحقيق: إبراهيم الإبياري:٢١٣/١،دار الكتب العلمية،بيروت، ط. أولى ١٤٠٥هـ،

(٢) انظر: المعجم الفلسفي : د: جميل صليبا، ٢٤٠/٢.

وقد تكون مذمومة، أما عن النزعة الفردية، كمذهب فلسفي أو فكري، فهي تقوم على أساس أن الفرد أساس كل حقيقة وجودية، أو هي مذهب من يفسر الظواهر الاجتماعية، والتاريخية، بالفاعلية الفردية، أو مذهب من يرى أن غاية المجتمع مصلحة الفرد، والسماح له بتدبير شؤونه بنفسه(١).

وقيل إن جوهر النزعة الفردية اعتبار الفرد وميوله غاية كل فكر ونهاية كل عمل، لذلك هي بطبيعتها تخالف طبيعة الاجماع لأنها ترمي إلى جعل السيادة في الفرد نفسه، وليس في المجتمع ونظامه ولكن الأفراد موجودون في الجماعة فيترتب على اعمل بمبدأ النزعة الفردية تفكك نظام الجماعة، وانعدام كيانها لأن كيان الجماعة لا يقوم إلا بخضوع أفرادها طوعًا أو كرهًا لكيانها، ونظامها بدون التفريق بين أن يكون هذا النظام جيدًا أو رديئًا(٢).

ومن هنا فالعالم الذي يتسم بالنزعة الفردية يميل الناس فيه إلى عدم الاهتمام بمجتمعاتهم المحلية، ويركزون على الدائرة الضيقة من مصالحهم المباشرة، وعندما يفعلون ذلك تتعزز عزلتهم، بشكل مستمر بفعل ظروفهم، وتميل النزعة الفردية إلى إعماء الناس عن أهمية الدين، والمكان، والناس، والتاريخ، والتراثيات المحلية(٣).

---

(١) انظر: المرجع السابق: ١٤١/٢.

(٢) انظر : مقالة عودٌ على النزعة الفردية في شعبنا : أنطون سعادة، جريدة الزوبعة، أغسطس، ١٩٤٢م.

(٣) انظر: حدود الليبرالية، التراث، والنزعة الفردية، وأزمة الحرية : مارك ت. ميشل، ترجمة : محمد عبده أبو العلا ص ٨٦، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط، أولى، بيروت، ٢٠٢٤م.

يقول أحد الباحثين: إن مفهوم النزعة الفردية يختلف باختلاف العلوم والأفكار، ففي علم الوجود يطلق على القول بأن الوجود الحقيقي للأفراد الجزئية لا الكليات العامة، وفي مناهج البحث يطلق على الطريقة التي تفسر الظواهر الاجتماعية والوقائع التاريخية بتأثير العوامل النفسية الفردية، وفي علم الأخلاق والسياسة يطلق على القول بأن قيمة الفرد أعلى من قيمة المؤسسات المحيطة به، لأن الفرد هو الغاية التي من أجلها وجدت الدولة، فالمثل الأعلى للسياسة الصحيحة تحرير الفرد، وتنمية نشاطه الذاتي، وأرجاء وظائف الدولة إلى عدد محدود، أو إلغاؤها كلها كما في مذهب الفوضويين(١).

وعلى الرغم من التنوع السابق لمفهوم النزعة الفردية إلا أنه يمكن القول إن هذا التنوع لا يمثل كبير فرق في المفهوم، خاصة وأن النزعة الفردية تنطلق من مبدأ واحد، وهو إعلاء مبدأ الذاتية، وسيادة فكرة الفرد على المجموع سواء أكانت صحيحة، أم لا كما سبقت الإشارة .

(١) انظر: المعجم الفلسفي : د: جميل صليبا، ١٤١/٢، ١٤٢

✍ المطلب الثاني: نشأة النزعة الفردية وأهم خصائصها

أولاً: نشأة النزعة الفردية.

بداية تنبغي الإشارة إلى أن النوازع الفردية أو الإنسانية ـ بصفة عامة ـ تتصل اتصالاً وثيقًا بوجود الإنسان على ظهر الأرض، فعلى الرغم من أن المولى (ﷻ) فطر الإنسان على الخير، وعلى التوحيد إلا أن كثيرًا من البشر دائمًا ما ينزع إلى خلاف ذلك، كالنزوع إلى الوثنية، أو الإلحاد، أو الانحراف الأخلاقي، كالأنانية، والميل إلى الشهوة، والعادات الشاذة، وما شاكل ذلك ، أما عن النزعة الفردية أو الإنسانة كمذهب فلسفي فقد ذهب كثير من الباحثين إلى أنها ظهرت في "عصر النهضة "[(١)] أو قبل ظهور الفكر الغربي الحديث، فمع ظهور عصر النهضة بدأ التمرد على النزعة الحتمية، وتأكيد الفردية، وقد كان من أهم مظاهر النزعة الفردية في عصر النهضة التوجه إلى الأعمال الفنية، حيث كان يُرمز للإنسان في العصور الوسطى، وهو مغمور في وسط الطبيعة مندمج فيها، على أنه جزء صغير في عالم واسع، وعندما جاء عصر النهضة حدث انقلاب فني كبير، وتم تأكيد أهمية الإنسان، وسيطرته على الطبيعة، وظهر الإنسان على شكل بورتريهات، تظهر جسم الإنسان على أنه أكبر مما حوله[(٢)].

---

(١) عصر النهضة: هي الحركة الثقافية التي بدأت في إيطاليا في منتصف القرن الرابع عشر، واستمرت حتى القرن السابع عشر، وامتدت إلى بقية أوروبا. انظر: المعجم الفلسفي د. عبدالمنعم الحفني، ص: ٣٦٣، ط: أولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، الدار الشرقية للطباعة والنشر.

(٢) انظر : دراسات في الفلسفة المعاصرة: د: زكريا إبراهيم، ١٦/١ وما بعدها، مكتبة مصر: ١٩٦٨، الشجاعة من أجل الوجود: د: بول تلش، ترجمة: كامل يوسف ص ٩٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط: ثانية ١٩٨٧م.

وقد نشأت هذه الحركة أولاً في إيطاليا في القرن الرابع عشر، ثم انتشرت من هناك إلى بقية أنحاء أوروبا، وبلغت ذروتها في القرن السادس عشر، ثم تابعت مسيرتها بعد ذلك، والجدير بالذكر أن الفلاسفة الذين اتسموا بالنزعة الإنسانية قد وضعوا الإنسان في مركز كل اهتمام أو تساؤل، وقالوا إن كل معرفة لا تهدف إلى الرفع من شأن الإنسان لا جدوى منها، ولا لزوم لها، وراحوا يحلمون ببناء مجتمع يختلف عن مجتمع القرون الوسطى المستكين، لأقوال الكهنة والمستسلم للمقادير والظروف، والجدير بالذكر أيضاً أنه على الرغم من أن النزعة الفردية أو الإنسانية التي ظهرت في عصر النهضة، وما تلاها كانت تحمل في ظاهرها الحرية والتقدم، وفتح الآفاق للفكر الإنساني والثورة على النظام البائد الذي كان سائدًا في العصر الوسيط، إلا أن هذه النزعة كانت تحمل في داخلها فكرة الإلحاد، والثورة على الأديان، ومحاولة تقويضها، وإبعادها عن طريق الفكر الإنساني(١).

وقد كان من أبرز رواد النزعة الفردية في عصر النهضة، الفيلسوف الإيطالي برونو(١٥٤٨ـ ١٦٠٠م)، ولوناردو دافينشي(١٤٥٢ـ ١٥١٩م)، أما في العصر الحديث فقد تزايد نفوذ النزعة الفردية بشدة، بناءً على تضاؤل سلطة الكنيسة في عصر النهضة وتزايد سلطة العلم، مما أدى إلى اندفاع الفكر الإنساني إلى التحرر والانطلاق بقوة نحو ميادين لم يرتادها الفكر الإنساني من قبل، فظهرت الدعوة إلى تحرير عقل الفرد، وتقرير حق الفرد في الحكم على

(١) انظر: كيف نشأت النزعة الإنسانية في الفكر الأوروبي؟ موقع صحيفة الشرق الأوسط، هاشم صالح، ٢٠١٥/١٢/١٤م.

الأشياء، والسماح لكل فرد في أن يبحث في أي شيء، وينتقده دون قيود من أي سلطة خارجية، مما أعلى من شأن بعض التيارات الفكرية الحديثة، " كالليبرالية "[١] التي تساند النزعة الفردية، وتؤيدها بشدة [٢] .

يقول يوسف كرم: إن الحرية الإنسانية التي تمثلت في عصر النهضة كان حقيقتها أنها عودة إلى الثقافة القديمة، وثورة على ما استحدث العصر الوسيط من أدب، وفلسفة، ومن علم ودين، وأسباب الحياة السياسية، والاقتصادية، وهذه الثقافة القديمة كانت تتضح بالوثنية من كل جانب، فانتشرت الوثنية في الأفكار، والأخلاق، حيث رأى فيها فريق كبير من الغربيين صورة إنسان الفطرة والطبيعة، واعتبروا دراسة القدماء كفيلة وحدها بتكوين الإنسان بمعنى الكلمة، واشتهرت هذه النزعة بالنزعة الإنسانية أي المذهب الإنساني، وسميت الآداب القديمة بالإنسانيات، ثم جاءت الكشوف العلمية حول العالم بمعلومات كثيرة عن شعوب كانوا بمعزل عن الأديان، وكان لها أديان وأخلاق، فظهرت فكرة الدين الطبيعي، والأخلاق الطبيعية، وهكذا تكونت في الغرب نظرة جديدة في

---

(١) الليبرالية : هى نظرية أو فلسفة سياسية تقوم على أفكار تدعو للحرية والمساواة، ومن أنواعها: الليبرالية الكلاسيكية تدعو إلى الحرية، والليبرالية الاجتماعية تدعو إلى المساواة، ويتبنى الليبراليون بصفة عامة أفكاراً تدعو إلى حرية التعبير، وحرية الدين، والحفاظ على الحقوق المدنية، بالإضافة إلى المساواة بين الجنسين. انظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة: د. عبد المنعم الحفنى: ص٧١٣، مكتبة مدبولي، القاهرة: ط. ثالثة: ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: أعلام الفكر الحديث: د. صلاح السيد بيومي، ص ٣،٤، دار المعارف، ٢٠١٥م، .

الإنسان تقنع بما يسمى بالطبيعة، وتستغني عما فوق الطبيعة، وكأنها تقول لله: « نشكرك اللهم على نعمتك، ولكننا بغير حاجة إليها »[١].

وعلى أثر اصطباغ النزعة الفردية أو الإنسانية بصبغة الإلحاد ظهر تيار جديد لدى العلماء من رجال الدين، وهو ما يمكن أن ندعوه بالنزعة الإنسانية المتدينة: أي تلك التي توفق بين الكتابات المقدسة من جهة، وكتابات أدباء اليونان، والرومان، وفلاسفتهم من ناحية أخرى، وبالتالي فالنزعة الإنسانية أو الفردية لم تكن كلها إلحادية، ولم يطغى عليها الإلحاد إلا عندما جاء القرن التاسع عشر، والقرن العشرين [٢].

وكما سبقت الإشارة وجدت بعض التيارات الفكرية الحديثة، التى ساندت النزعة الفردية كـ " المذهب الليبرالي " الذى آمن بشدة بالنزعة الفردية، وعززها فى مقابل الاتجاهات العامة، بوصفها قيمة أساسية في بنائه الفكري، ولذلك فالفكر الليبرالي ليس دعوة إلى الحرية فحسب، ولكنه بالدرجة الأولى، دعوة إلى الفردانية، فالفرد بهذا المفهوم كيان عاقل يفكر لا ينبغي له أن يخضع لغير خياراته، هذا بالإضافة أيضًا إلى إعلاء فلسفة الحداثة[٣] من قيمة الفرد،

---

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة : يوسف كرم، ص ٥،٦، دار المعارف، ط. خامسة .

(٢) انظر : كيف نشأت النزعة الإنسانية في الفكر الأوروبي؟، موقع صحيفة الشرق الأوسط، هاشم صالح ٢٠١٥/١٢/١٤م.

(٣) الحداثة: " نظرية فكرية لا يُقصد بها الحركة الإبداعية وحدها، بل تدعوا إلى التمرد على الواقع بكل جوانبه الإجتماعية، والثقافية، والدينية، والاقتصادية، وتهدف إلى الثورة على الدين، والتراث، والعادات، والتقاليد تحت مسمى التطوير والتجديد". انظر: المعجم الإسلامى: د. زيدان عبد الفتاح، ص،٣١٢ ط. أولى. ٢٠١٢م، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان.

والتقليل من دور الكيانات الاجتماعية، مما أدى إلى نقل الفرد من فلسفة المجتمع التقليدي، إلى فلسفة المجتمع الحديث، وهذا مما جعل النزعة الفردية في أوروبا في القرن الثامن عشر تظهر على شكل مذهب متكامل، وأصبح مفهوم الفرد من المفاهيم الأساسية التي تركز عليها القيم الأوروبية، والفكر الليبرالي، ونظريات الحداثة [١] .

وقد كان من أشهر رواد النزعة الفردية في العصر الحديث بجانبيها السلبي، والإيجابي : الفيلسوف الفرنسي ديكارت (١٥٩٦ـ ١٦٥٠م)، والبريطاني جيمس مل (١٧٧٣ـ ١٨٣٦م)، وآدم سميث (١٧٢٣ـ ١٧٩٠م)، وجون سيتورات مل (١٨٧٣ـ ١٨٠٦م)، والفيلسوف الألمانى كانط (١٧٢٤ـ ١٨٠٤م)، والفيلسوف الإنجليزى بنثام (١٧٤٨ـ ١٨٣٢م).

وإذا انتقلنا من الفكر الحديث إلى الفكر المعاصر، نجد أن الفكر الإنساني قد زاد تمرده على الواقع، وأصبح أكثر اتجاهًا إلى الفردية، والنفعية فمثلاً: نجد أن " نيتشه "يهاجم كثيرًا من الفلاسفة الأقدمين، ويرى أنهم علامات على انحطاط الحضارة، ويعيب على الفلسفة تجريدها للواقع الإنساني، وانفصالها عنه، ومع ظهور فلسفة الحياة لدى " نيشته "، و" الفلسفة البراجماتية"[٢] لدى

---

(١) انظر : مراجعات في فلسفة الفردانية فى عصر الحداثة: د. عبد الله الزازان، مقالة في جريدة الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٧ ذو القعدة ١٤٤٤هـ - ١٦ يونيو ٢٠٢٣م.

(٢) البراجماتية: اسم مشتق من اللفظ اليونانى براجما، أو براغما، ومعناه العمل، وهى مذهب فلسفى يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح،=

الفيلسوف الأمريكي" وليم جيمس"(١٨٤٢ـ ١٩١٠م)، و" الفلسفة الوجودية "[١]، يبدأ الاتجاه بشدة نحو الفرد أو الإنسان، ومع الفيلسوف الدنماركي " كيركجارد "(١٨١٣ـ ١٨٥٥م) و" نيتشه "تبدأ الفلسفة الذاتية الشريدة، رافضة للمطلق، والكلى ومؤكدة للفردانية، ومنذ ظهور الفردانية والذاتية في الفلسفة الوجودية، وفلسفة الحياة، والفلسفة البراجماتية يكون قد بدأ عهد جديد، وثورة جديدة من التقليد نحو الفرد، والذات، ومع الفيلسوف الفرنسي " شارل رينوفييه " (١٨١٥ـ ١٩٠٣م) مؤسس الشخصانية[٢]، تبدأ فلسفة جديدة موازية للفردانية، ومتجاوزة

=فالفكرة الصحيحة هى الفكرة الناجحة، أى الفكرة التى تحققها التجربة، والأمر كله مرهون بنتائج التجربة العملية، ولا يوجد فى العقل معرفة أولية نستنبط منها نتائج صحيحة.انظر: المعجم الفلسفى د. جميل صليبا، ج١، ص٢٠٤،٢٠٣.

(١) الوجودية: مذهب أدبي، أو اتجاه فكري فلسفي يُعْنَى بالبحث في الوجود الإنساني، وقد ظهر في الأدب الغربي في القرن العشرين، وهو مذهب إلحادي يركز على الوجود الإنساني، وأنه لا يوجد شيء سابق عليه ولا بعده، وأن الإنسان هو الذي يستطيع أن يتولى أمره دون ارتباط بخالقه، ودون تقييد بقيم خارجة عن إرادته، بل هو الذي يختار القيم التي تنظم حياته. انظر: الموسوعة الفلسفية العربية: مجموعة من المؤلفين: تحرير: معن زيادة، ص٩٤٠، مكتبة: مؤمن قريش، ط. أولى. ١٩٨٦م.

(٢) الشخصانية: هو مصطلح عُرف به أحد أهم التيارات الفكرية التي ظهرت في فرنسا خلال ثلاثينات القرن العشرين، إلى جانب الوجودية، والفينومينولوجيا، وتقوم الشخصانية على مبدأ أخلاقي، أساس مضمونه احترام الشخص الإنساني وعدّه قيمة مطلقة تعلو عالم المؤسسات السياسية، والاقتصادية التي ليست إلا وسائل لخدمة الشخص، وبهذا المعنى فالشخصانية نظرية أخلاقية واجتماعية مؤسسة على القيمة المطلقة للشخص، أو نزعة=

لها، وللجماعية معًا، ولكنه تجاوز يؤكد على الذات الإنسانية الحرة، والفاعلة في التاريخ، وبناءً على ما سبق ظهرت في القرن العشرين أربعة مذاهب فلسفية كان محور آرائها يدور حول الفردية، والشخصية الإنسانية، في محاولة منها لإظهار عظمة الفردية الإنسانية، مع الوقوف ضد كل المذاهب الشمولية، حتى وصل بها الأمر إلى محاربة العقل، وإشهار سيف الحياة، وإرادة القوة إزاءه، وهذه الفلسفات هي فلسفة الحياة، والفلسفة البراجماتية، والفلسفة الوجودية، والفلسفة الشخصانية [1] .

ويلاحظ من خلال ما سبق أن النزعة الفردية قد انطلقت بشدة في الفكر المعاصر، وتبنتها فلسفات ضخمة، كالوجودية الملحدة الذي تجعل الإنسان إله الكون، والبراجماتية النفعية التي تقوم أفكارها على مبدأ تحقيق الغاية والنفع المطلق للفرد دون النظر إلى النتائج أو العواقب، وهذا بلا شك قد أدى إلى اصطباغ النزعة الفردية بالصبغة السلبية التي تضر ولا تنفع، وتهدم أكثر مما تشيد .

فالفرنسى الوجودى "سارتر"(١٩٠٥ـ ١٩٨٠م) الذي لا يؤمن بالله يعتبر الإنسان ذاتًا منفصلة عن جميع كائنات الطبيعة، وقطع حبل اتصاله بالسماء،

=إنسانية، تضع الإنسان في صميم اهتمامها. انظر: المعجم الفلسفى: مجمع اللغة العربية، ص١٠١، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ : ١٩٨٣م.

(١) انظر: الفلسفة الشريدة: فتحي التريكي، ص٢٧، وما بعدها، مركز الإنماء القومي، بيروت، نقلاً عن: الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر: د. حسن الكحلاني، ص ٨، الناشر: مكتبة مدبولي ٢٠٠٤م.

ووكل أمره إليه فهو يصنع مصيره، ويصنع نفسه، وهو رب نفسه مسلط على الطبيعة، ومسخر لقواها، وأصحاب النزعة الإنسانية يلتقون في نقطة تعترف بأصالة الإنسان، ورجحان ذاته على جميع مظاهر الطبيعة(١) .

يقول هنترميد: المفهوم الرئيسي للنزعة الإنسانية، أو الفردية له أصل أحدث عهدًا، خلال القرن الحالي، فهناك مثلاً نوع من الفلسفة البراجماتية وضعه أكبر البراجماتيين، الفيلسوف البريطانى" شيلر" (١٨٦٤ـ ١٩٣٧م) ويتخلص موقف " شيلر" الأساسي في تلك الجملة المشهورة التي اقتبسها من المفكر السوفسطائي " بروتاجوراسي "(٤٨٧ـ ٤٢٠ ق م) " الإنسان مقياس الأشياء" ومع ذلك فلما كان اهتمام " شيلر" الرئيسي منصبًا على مجال المنطق، ونظرية المعرفة، لا على مجال الأخلاق، فقد كان من الطبيعي أن يؤكد المعايير البراجماتية، والإنسانية " الحقيقة " و" الصواب " أكثر مما يؤكد معايير " الخير" وكان يعتقد بوجه عام أن أي حديث عن الحقائق المطلقة، أو العالية، أو الأولية، هو حديث عقيم، فنحن نعرف ما نعرف نتيجة لتجربتنا الإنسانية البحتة(٢) .

ثانياً: خصائص وسمات النزعة الفردية :

من أهم خصائص وسمات النزعة الفردية ما يلي:

---

(١) انظر: النباهة والاستحمار: علي شرعتي، ص ٧١، ترجمة : هدى السيد ياسين، تحقيق: عبد الرازق الحيران، دار الأمير للثقافة والعلوم، ط. أولى ١٤٢٥هـ .

(٢) انظر : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها: هنترميد، ترجمة : د. فؤاد كامل، ص ٣٩٦ وما بعدها، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط. ثانية ١٩٧٥م.

١- إن النزعة الفردية تعتبر جزءًا من تشكيل الهوية الشخصية، حيث يسعى الفرد إلى تعريف ذاته، وتحقيق طموحاته الخاصة سواءٌ أكانت سلبية أم إيجابية .

٢- إن النزعة الفردية أو الإنسانية ليست فلسفة مغلقة بل هي رؤية شخصية متنوعة الجوانب في عدة مجالات، المجال الاجتماعي، والأدبي، والفلسفي، والسياسي، ومركز اهتمامها الإنسان.

٣- إن النزعة الفردية في الغالب تكون مخالفة للنظرة اللاهوتية للإنسان الذي تعتبره جزءًا من نظام إلهي، أما النظرة العلمية فتراه من النظام الطبيعي .

٤- إن صاحب النزعة الفردية السلبية يكون عديم الشعور بالمسؤولية، لأنه لا يكون متقيدًا بالمجتمع، ولا بالنظام العام، هذا بالإضافة إلى أنه لا يكون قادرًا على التميز بين العلم والجهل، والإيمان الصحيح والشك. (١)

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٣٩٧، ٣٩٨، مفهوم النزعة الإنسانية : إلهام سرحان، موقع: موضوع، ١٧ مايو ٢٠١٧م، النزعة الفردية، الجزء الثاني، حيدر حاج إسماعيل، مجلة : صباح الخير، البناء، ٧ نوفمبر ٢٠٢٢م.

✍ المطلب الثالث: التعريف بنيتشه وبمفهوم النزعة الفردية عنده

أولاً: التعريف بـ " نيتشه ":

١ــ حياته: ولد " فردريك نيتشه " فى ١٥ أكتوبر عام ١٨٤٤م، في "روكسن " بالقرب من " لايستبرج " من أعمال " بروسيا بألمانيا "، وهو اليوم الذي ولد فيه " فردريك وليم الرابع" (١٧٩٥ـ ١٨٦١م) ملك بروسيا، فسمته أسرته باسم الملك تيمناً واستبشاراً به، وكان والده قسيسًا بإحدى الكنائس البروتستانتية، وكان أيضاً مربياً للعديد من أبناء الأسرة المالكة في " بروسيا "، أما والدته فقد كانت " بولونية " الأصل، ويعد " نيتشه "من أعمدة النزعة الفردية، التي أعطت أهمية كبيرة للفرد، واعتبرت أن المجتمع موجود ليخدم، وينتج أفرادًا متميزين، وتعتبر فلسفته إحدى المرايا التي عكست تغيرات الواقع في مختلف مجالاته، وقد تأثر بالعديد من الفلاسفة، والفنانين منهم: الفيلسوف الألماني " شوبنهور"(١٧٨٨ـ ١٨٦٠م)، والموسيقي الألماني " ريتشارد فاجنر "(١٨١٣ـ ١٨٨٣م)، ويُذكر أن " نيتشه "قد أصيب بالجنون فى نهاية حياته، وكانت تعتريه نوبات من الصرع، كما ضعف بصره كثيراً، ولم يزل يقاسي من ذلك إلى أن توفى في ٢٥ أغسطس سنة ١٩٠٠م.[١]

٢ـ ثقافته:

لقد التحق " نيتشه " بمدرسة " بفورتا " من عام ١٨٥٩م إلى عام ١٨٦٤م، وهى مدرسة داخلية مرموقة، تقع على مسافة قريبة من منزله في " ناومبرغ "، وقد كان المناخ التعليمى لهذه المدرسة صارماً إلى حد كبير، ومن أظهر الذين

---

(١) انظر: معجم الفلاسفة: جورج طرابيشى: ص٦٧٧، دار الطليعة، بيروت، ط. ثالثة.

تخرجوا من هذه المدرسة، من الفلاسفة، الفيلسوف المثالي الألماني " فيشته" وحدث أن التقى فريدريك " نيتشه "في هذه المدرسة بصديق عمره الألماني" بول ديوسن "(١٨٤٥ـ ١٩١٩م)، وهو الذى أسس في سنة ١٩١١م، حلقةَ " شوبنهاور"، وأصبح فيما بعد مستشرقاً، ومؤرخاً للفلسفة. كما قاد " نيتشه "خلال قضائه فصل الصيف في " ناومبرغ " نادٍ موسيقي، وأدبي صغير يُدعى " جرمانيا "، حيث تسنى له التعرف إلى موسيقى " فاغنر " كما طالع أيضاً فى شبابه كتابات الألماني الرومانسي " فريدريش هولدرلين "(١٧٧٠ـ ١٨٤٣م)، و"جان باول ريشتر"(١٨٤٧ـ ١٩٣٧م)، وبعد أن تخرج " نيتشه "من مدرسة " بفورتا " التحق بجامعة " بون " عام ١٨٦٤م، وتخصص في دراسة اللاهوت والفيلولوجيا، وسرعان ما انصب اهتمامه بالفيلولوجيا على وجه الخصوص، هذا الفن الذي يدرس تأويل النصوص الكلاسيكية والإنجيلية، وحاضر للموسيقي الدنماركي " أوتو يان "(١٨١٣– ١٨٦٩م) و" فريدريش فيلهلم ريتشل " (١٨٠٦ – ١٨٧٦م)، وقد كانت تجربة " فريدريش ريتشل " الذى كان متخصصاً فى دراسة الكلاسيكيات، والذى تمحور عمله حول الشاعر الروماني الكوميدي بلاوتوس (٢٥٤ – ١٨٤ق. م) مصدر إلهام " نيتشه "، فحذا حذوه إلى جامعة " ليبزيغ " سنة ١٨٦٥م، الجامعة الواقعة بالقرب من " ناومبرغ " حيث نشأ " فريدريك نيتشه ". وسرعان ما ذاع صيت " نيتشه "الأكاديمي بعد نشره أبحاثٍ عن شاعرين من شعراء القرن السادس قبل الميلاد هما: " ثيوغنيس " و" سيمونيدس "، بالإضافة إلى أبحاثه عن" أرسطو "، ومن الوقائع الجلية التى حدثت لـ " نيتشه "والتى كانت سبباً فى اتجاهاته الفكرية المتطرفة، اطلاعه

على كتاب: (العالم إرادةً وتمثلاً) لـ " شوبنهاور "، وتُعد هذه الواقعة حدثاً مصيرياً في حياة " نيتشه "، والذي كان وقتها في الحادية والعشرين من عمره، وقد كان من آثارها أن رؤية " شوبنهاور" الإلحادية والمضطربة قد استحوذت على تفكير " نيتشه "، هذا علاوة على مطالعة " نيتشه "لـ كتاب: (تاريخ المادية ونقد دلالتها في العصر الحاضر) للفيلسوف الألمانى " فريدريش ألبرت لانجه "، والذى انتقد فيه النظرية المادية من منظور كانط النقدي للميتافيزيقيا، وهذا مما شجع " نيتشه "إلى التصريح بأن التنظير الميتافيزيقي ما هو إلا ضرب من الوهم الشعري، وعلى أثر ذلك أنكر ما تحتوى عليه، من فكرة الدين، والإله، والغيبيات، وفى عام ١٨٦٩م، عُين "نيتشه " أستاذاً مشاركاً لعلم اللغة الكلاسيكي في جامعة " بازل " وهو فى الرابعة والعشرين من عمره، ولم يكن قد حصل بعد على (الدكتوراه) ولكن كان ذلك بناءً على توصية من " فريدريش ريتشل " أستاذه في جامعة (بون، ولايبزغ) و" فيلهلم بيلفينجر" الأستاذ الجامعي والسياسي السويسري الشهير، وقد عمل في نفس الوقت مدرساً للغات في الثانوية المتقدمة، " ساحة الكاتدرائية " في" بازل "، ومن خلال عمله في جامعة " بازل "، تعرف على زميله أستاذ الإلهيات الملحد " فرانز أوفيربيك "، الذي ظل صديقاً له حتى فى فترة مشكلته العقلية، التى ألمت به حتى نهاية حياته، كما كان يكن تقديراً، لزميله أستاذ التاريخ المعروف" يعقوب بوركهارت " وكان يشهد محاضراته. هذا بالإضافة أيضاً إلى أن " نيتشه "كان يزور باستمرار" ريتشارد فاغنر " في بيته، ويستمع له، وفي عام ١٨٧٢م، نشر " نيتشه "أول عمل له، وهو: " ولادة المأساة من روح الموسيقى "، وهي دراسة

تبحث أصل المأساة، وقد استبدل فيها طرق الدراسة اللغوية الكلاسيكية بالدراسة الفلسفية التكهنية، وتحدث فيها عن الأساطير الإغريقية، وارتباط الحضارة بالموسيقى، إلا أن هذه الدراسة، وتلك الوجهة لم تلاقى إعجاباً من الكثيرين، وكانت سبباً فى الهجوم عليه، وفي عام ١٨٧٣م، بدأ " نيتشه "في تجميع كراسات تم نشرها بعد وفاته تحت عنوان: " الفلسفة في العصر المأساوي لليونانيين"، وبين عام ١٨٧٣ وعام ١٨٧٦م، نشر أربعة مقالات طويلة، وهى: " شوبنهاور كمعلم " و " ريتشارد فاغنر في بايرويت "، و" يفيد شتراوس: المعترف والكاتب "، و" حول استخدام وإساءة استخدام التاريخ من أجل الحياة "، وقد ظهرت هذه المقالات الأربع فيما بعد في كتاب تحت عنوان: " تأملات قبل الأوان "، وقد اتجهت هذه المقالات نحو النقد الثقافي، أو على وجه الخصوص الهجوم على الثقافة الألمانية النامية، فى ضوء أفكار " شوبنهاور" و " فاغنر"، إلا أنها أيضاً لم تلاق أى صدى، أو اهتمام يذكر(١)

٣ـ مؤلفاته:

من أهم المؤلفات التى كتبها " نيتشه ":

١ـ كتاب " هكذا تكلم زرادشت" وهو عبارة عن رواية فلسفيّة تتألّف من أربعة أجزاء صدرت بين عام ١٨٨٣وعام١٨٨٥م، وهى تتكوّن من سلسلة من المقالات، والخطب التى تسلّط الضّوء على تأمّلات زرادشت، وهي شخصيّة مستوحاة من مؤسّس الدّيانة الزّرادشتيّة. حيث صاغ " نيتشه "أفكاره الفلسفيّة

---

(١) المرجع السابق: ص ٦٧٧، وما بعدها، موسوعة أعلام العرب والأجانب: رونى إيلى ألفا، ترجمة: د. رجوج نخل، ج٢، ص٥١٢، وما بعدها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مكتبة مؤمن قريش، ط. أولى: ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

في قالب ملحمي وبلغة شعريّة، ويعد هذا الكتاب من أهم كتبه، وأشهر أعماله على الإطلاق، وقد تعرض فيه " نيتشه "لمسألتي إنكار الألوهية، ورسم سير التطور الإنساني، ومفهوم الإنسان الأعلى نافذ الإرادة، صاحب القوة الفاعلة، الذى يتفوق على الإنسان العادى بقدر تفوق الأخير على القردة، وتكلم فيه أيضاً عن فكرة: " التكرار " أو " العود الأبدى "، والتى تقول: إنه بمرور فترة زمنية كافية، ستتكرر جميع الظروف، والشروط التى أنتجت الفرد وحياته وسياقاته، لتتكرر جميعها ثانية، بكل حدث وواقعة وقرار، ليس مرة أو مرتين، بل تكرارًا أبديًا، وقد ترجم هذا الكتاب إلى معظم لغات العالم، ومن بينها العربي.

٢ـ ما وراء الخير والشر:

ويقوم هذا الكتاب على أفكار كتاب " هكذا تكلم زرادشت " السابق إلا أنه قد توسع فيها وتناولها من منطلق أكثر نقديةً وجدليةً، حيث هاجم فيه فلاسفة الماضي متهماً إياهم بانعدام الحس النقدي، كما حاول استقصاء تاريخ المنظومات الأخلاقية، مهاجمًا المنظومة الأخلاقية للأديان السائدة فى عصره، وأعلن صراحة عبثية إلزام جميع البشر، على الاختلاف الشاسع بينهم، بمنظومة أخلاقية واحدة، وتطرق إلى المرأة وفساد روحها، وتناول فيه أيضاً الحديث عن الروح النبيلة، وهى روح منعزلة ووحيدة معذبة، لا يمكن تصنيفها إذ تسامت فوق الغوغاء، ودعا في عمله إلى التوجه نحو ما وراء الخير والشر، وتجاوز الأخلاقيات التقليدية، ونقدها نقداً هداماً، وقد انتهى " نيتشه " من كتابة هذا الكتاب فى عام في ١٨٨٦م، وأرسله إلى إحدى دور النشر فتم رفضه، ثم أرسله إلى دار نشر أخرى، فتم رفضه أيضاً، ثم قام بنشره على حسابه في دار نشر " ناومان " في " لايبزغ ".

٣ـ جينالوجيا الأخلاق:

صدر كتاب جينالوجيا الأخلاق عام ١٨٨٧م، وتحدث فيه " نيتشه "عن أصل القيم الأخلاقية، ثم قام بنقدها، وطرحِ فيه أسئلة متعلقة ببعض الجوانب

الأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية، وتحدث فيه عن أخلاقيات السادة فى مقابل أخلاقيات العبيد، حيث أنشأ الأقوياء الأصحاء الأحرار النوع الأول من الأخلاق، لكن العبيد والضعفاء فى المقابل أبدعو أخلاقياتهم الخاصة التى تخدمهم، وقد صنف " نيتشه "الأخلاق المسيحية واليهودية تحت مظلة أخلاق العبيد.

٤ـ العلم المرح:

صدر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٨٨٢م، ثم صدر مرة أخرى ملحقاً بكتاب " هكذا تكلم زرادشت " فى عام ١٨٨٧م، ويعتبر كتاب "العلم المرح" تحضيراً للنظريات الكبيرة التى تبناها " نيتشه "فيما بعد مثل: فكرة " العود الأبدي" و " إرادة القوة " و " الإنسان المتفوق "، وغيرها، ولهذا فإن محتوى هذا الكتاب لا يختلف كثيراً عن محتوى الكتب السابقة، حيث بحث " نيتشه "فى هذا الكتاب تطور المعرفة الإنسانية، والقيود المسيحية التى ما تزال تكبلها، وقدم تصوره للظروف التى دفعت الإنسان إلى استحضار فكرة المعبود.

٥ـ إنسان مفرط فى إنسانيته:

ويدور محتوى هذا الكتاب حول كيفية أن يترقى الإنسان بذاته لكي يصبح إنساناً مفرطاً في إنسانيته، ويبتعد ويوسع الهوة بينه وبين الحيوان، ويعيب فيه " نيتشه "على الفلاسفة الذين ينطلقون من الإنسان الحالى، ويتخيلون أنهم قد بلغوا الهدف من خلال تحليلهم له.(١)

---

(١) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة: جوناثان رى، وآخرين: ترجمة: فؤاد كامل، جلال عشري، مراجعة: زكى نجيب محمود، ص٣٧٤، المركز القومي للترجمة، ط. أولى ٢٠١٣م، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب: روني إيلى ألفا، ترجمة: د. رجوج نخل، ص٥١٢، وما بعدها.

المطلب الرابع: مفهوم النزعة الفردية عند نيتشه

لقد سبقت الإشارة إلى أن النزعة الفردية تتمثل في النشاط الفردي، أو في جهة النظر الفردية التي تفسر الأشياء أو الموجودات، أو الظواهر تفسيرًا شخصيًا، أو فرديًا، وهذا التفسير إما أن يكون محمودًا وموافقًا للثوابت والضوابط، وإما أن يكون مخالفًا، و" نيتشه "باعتباره رائدًا من رواد النزعة الفردية في الفكر الغربي المعاصر، فإنه قد تبنى الجانب السلبي للنزعة الفردية، وذلك لأن أفكاره ومبادئه التي تبناها كانت أشبه بالثورة العارمة على جميع الثوابت والأفكار التي كانت سائدة في مجتمعه، سواء أكانت صحيحة أم غير صحيحة .

وبناءً على النزعة الفردية المتطرفة التي تبناها " نيتشه "اعتبر أن الحقيقة هي مجرد تفسير يتم اعتماده من قبل الإنسان، ولا توجد حقائق ثابتة ومطلقة، وفي نظريات " نيتشه "الفردية تتواجد ما يسمى بـ "الحقائق المفضلة" وهي تلك الأفكار التي يعتبرها الإنسان صحيحة، بناءً على قناعاته الشخصية، وخلفيته الثقافية، دون أن تكون هناك حقيقة مطلقة يجب اعتمادها، وهذا يعني أن الإنسان لديه الحرية في تشكيل وتجديد معنى الحقيقة بناءً على اعتقاداته، وتجاربه الشخصية، هذا بالإضافة أيضًا إلى أن " نيتشه "قد اعتقد أن الواقع هو مجرد تجربة فردية تختلف من شخص لآخر، وأن كل فرد لديه رؤيته الخاصة للعالم وتفسيره الفريد في نظره حيث يقول : « الحقيقة ليست شيئا ثابتًا،

ولا يوجد واقع مطلق، إنها تفسير يتم تشكيله وفقًا اعتقاداتنا وخبراتنا الشخصية»، ويقول أيضًا : « كن نفسك، وفقط، ولا تسمح لأحد أن يرشدك إلى أن الحقيقة تكمن هنا أو هناك » (١).

يقول أحد الباحثين : إن " نيتشه "كان سريع التحول في أفكاره ومعتقداته، لأن الحياة من وجهة نظره، لا تحتمل الثبات، بل التمرد المستمر، فما أن نجد لديه فكرة يؤكدها، حتى نجده قد انقلب عليها وهدمها، فهو القائل : « مهما يكن الشيء الذي أخلقه عظيمًا، ومهما بلغ حبي له، فلا ألبث أن انقلب عليه، وأن اصير خصمًا لحبي » فـ" نيتشه "يغني النقاد من تهديمه وإظهار معايبه بقوله: « إن هذا المفكر لا يحتاج إلى من يهدمه، لأنه يهدم نفسه » وهو يقصد بذلك تناقضه المستمر الذي يقوم على نزعته الفردية المتطرفة والغير مبررة(٢).

يقول د. فؤاد زكريا: في القرن التاسع عشر كان النمط الفكري السائع في ميدان الفلسفة الحضارية هو النمط القلق المضطرب، ولم يكن من المستغرب على الإطلاق أن تظهر نماذج شاذة لمفكرين يدعون إلى الفردية المطلقة، أو إلى الفوضوية، أو إلى القومية الضيقة الأفق، إلى أن يقول: فما الذي نأخذه اليوم على " نيتشه "؟ إننا نأخذ عليه، قبل كل شيء، نزعته إلى اللامعقول، وإلى الفردية المفرطة، والأمران مرتبطان ذلك لأن العقل هو أساس اتفاق

---

(١) انظر : فلسفة وروائع فردريك نيتشه في المعنى الحقيقي، تقلاً عن :الموقع الإلكتروني : موقعك للتنمية العقلية والشخصية والمهنية، ماركس ضد نيتشه الطريق إلى ما بعد الحداثة : محمد دوير ص ٣٨٩ وما بعدها، ط، ٢٠٢٠م.

(٢) انظر:الصراع في الوجود : بولس سلامة، ص ٢٠٦، ٢١١، ط. دار المعارف، مصر

الناس، وتوحيد اتجاهاتهم، وما أن تستقر عقولنا على فكرة معينة، حتى تقف كلها من الفكرة موقفًا واحدًا، أما المشاعر والانفعالات فهي بطبيعتها فردية، وتتباين من شخص إلى آخر[١] .

هذا والجدير بالذكر أنه على الرغم من أن الذي يتضح من كلام د. فؤاد زكريا، أنه لا يرتضي النزعة الفردية التي كان يتبناها " نيتشه "في فلسفته وأفكاره، إلا أنه التمس له المبررات في نزعته الفردية التي تبناها حيث يقول: إن " نيتشه "قد سار في الاتجاه إلى اللامعقول، وإلى الفردية، لأن عصره كان يقتضي منه ذلك لأنه نشأ في عصور التحول الكبرى، والتي كانت تضيق فيها النفوس الحرة بالمثل السائدة، ولكنها لا تدري إلى أين تسير فلا تجد أمامها إلا الترفع والانعزال والدعوة إلى الفردية، فالاتجاه الفردي، وتمجيد الاستقراطية، والترفع ليس إلا تعبيرًا عن هذا الضيق بالأحوال السائدة، أما بالنسبة إلى عصرنا الحالي، فلابد أن نقابل مثل هذه الحملة بالنقد[٢] .

وفي الحقيقة إن تبني " نيتشه "للنزعة الفردية، وثورته على عصره، وحضارته التي كان يعيش فيها، قد يكون مقبولاً لو أنه حاول أن ينقد المبادئ السلبية فقط، ولكنه ثار على جميع النظم التي كانت سائدة في عصره بصفة عامة سواء أكانت دينية، أم اجتماعية، أم اقتصادية، أم سياسة، وحاول أن يضع لها أفكارًا، أو حلولاً تنبع من شخصه، أو من ذاته بدون الرجوع إلى النظم الدينية، أو الاجتماعية الصحيحة، مما جعل فلسفته هدفًا للنقد قديمًا وحديثًا.

---

(١) انظر: نيتشه : د. فؤاد زكريا، ص ٨ وما بعدها، دار المعارف، مصر، ط. ثانية .

(٢) انظر : المرجع السابق، ص ١٤ وما بعدها .

وبهذه النظرة الذاتية أصبح " نيتشه "من أعمدة النزعة الفردية الأوروبية حيث أعطى أهمية كبيرة للفرد، واعتبر أن المجتمع موجود ليعدم، وينتج أفرادًا مميزين، وأبطالاً، وعباقرة، ولكن على الرغم من ذلك فإن نزعته الفردية وعنصريته قد طغت عليه مرة أخرى حيث جعلته يميز بين الشعوب، ولم يعطها الأحقية، أو المقدرة نفسها، حيث فضل الشعب الألماني على كل شعوب أوروبا[١].

يقول د.عبد الوهاب المسيري (١٩٣٨ـ ٢٠٠٨م): نيتشه أول من عبر بشكل منهجي، وصريح عن النزعة التفككية في المشروع التحديثي والاستتاري الغربي الذي يدور في إطار العقلانية المادية، ومن ثم فهو فيلسوف الاستنارة المظلمة، واللاعقلانية المادية بلا منازع[٢] .

(١) انظر: قراءة في كتابات هيرمان هيس : محمد محمود يوسف، ٢٣٧/٢، ط ٢٠١٢م، الناشر: Author House

(٢) نيتشه فيلسوف العلمانية الأكبر: المؤلف الرئيس : د. عبد الوهاب المسيري، الناشر: عبد الصمد بلكبير، ص ١١٠، مجلة الملتقى، العدد ١٦، مايو ٢٠٠٧م.

المبحث الثاني

النزعة الفردية في فكرة وجود العالم والإنسان عند نيتشه

المطلب الأول : نزعة نيتشه الفردية في فكرة وجود العالم

إن الكون في نظر " نيتشه " وليد ما نراه من العالم، والعالم ما هو إلا ما يرى منه، فليس هناك عالمان كما يرى البعض: عالم الشيء بذاته، وعالم الظواهر، بل هو عالم واحد، وهو الذي نعيش فيه ونلمسه، لا شيء وراء الأكمة، لا تعالي، بل معايشة أو ملازمة، فكل موجود له سبب، ولوجوده معنى، ويتعذر على العقل تصور الأشياء على غير هذا الأساس، سواء أصاب في التأويل أم أخطأ سواء توهم البحر مصبوغًا بلون أزرق، أم عُرف السبب الحقيقي في الزرقة، ولكنه تفسير على كل حال، فكل موجود وكائن مفسر، إذ لا شيء في ذاته، ولا معرفة مطلقة، فمن طبيعة الوجود أن نخلع عليه من تصوراتنا، من مخاوفنا وآمالنا، من تفاسيرنا نحن، لذلك ترى الإنسان يربط بين الظواهر متى توالت ويجعل لها معنى، وهذا ما يسمونه بالماهية، ومن هذه النظرة الفردية توصل " نيتشه " إلى نتيجتين :

الأولى : إنه لا يوجد كنه حقيقي، ولا أساسي حقيقي للأشياء قائم بذاته .

الثانية : إن نظرية المعرفة مستحيلة، ومعنى ذلك أن الإنسان لا يجد في الأشياء، إلا ما يضعه فيها[1] .

ويتضح من خلال ما سبق أن " نيتشه " لا ينكر العالم الحسي أو الطبيعي بل يثبته كعالم حسي، ولكنه لا يثبت ماهيته المجردة، ولا يثبت أى شيئ آخر

---

(١) انظر: الصراع في الوجود : بولس سلامة، ص ١٩٨ وما بعدها، فردريك نيتشه والرفض المتعالي للعالم: د. علاء جواد كاظم، ص١١، وما بعدها

خلفه، أو أى شيء له أثر فيه، أو في وجوده وعمله، وأن الأوصاف والمعاني التي نطلقها على الأشياء الموجودة في العالم هي من صنع الإنسان، ومن ابتكاره، ولا دخل فيها لأحد، هذا فضلاً عن أنها تختلف من شخص لآخر حسبما يرى كل إنسان مما يؤدي إلى القول بنسبية المعرفة وتغايرها، وعدم وجود معاني كلية، أو مطلقة .

هذا والجدير بالذكر أن " نيتشه " قد تبنى فى نزعته الفردية عن العالم مذهب الفيلسوف اليوناني "هرقليطس" (٥٣٥ – ٤٧٥ ق. م) الذى كان يعتقد أن هذا العالم، بنظامه المتماثل لجميع الموجودات، لم يصنعه أحد من الآلهة أو من البشر، لكنه كان وسيكون دومًا ناراً حية أبدًا، تشتعل وتنطفيء باعتدال، كما أن الكون ليس في حالة وجود ثابت، وإنما في حالة صيرورة دائمة، وأبدية، وأن الكون في الحقيقة تغير، فنحن وكل ما حولنا في حالة تَحَوّل مستمر، فلا شيء راسخ، والحروب والصراعات هي التعبير الأدق عن هذه الحقيقة، وشبه هذا التغير بالنار الأبدية، وهذه النار ليست هي النار المحسوسة أو الملموسة، وإنما هى نار لطيفة أثيرية موجودة فى الكون بأسره، كما أنها تطلق أيصاً على النار المعنوية التى تشتعل فى النفوس، والعقول، والقلوب، وتكون مصدراً لكل طاقات الإنسان وإبداعاته. (١)

---

(١) انظر: ربيع الفكر اليوناني: د. عبد الرحمن بدوى، ص١٣٨، ط. خامسة، ١٩٧٩م، الناشر: وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، قصة الفلسفة الغربية: د.يحيي هويدى، ص١٣، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة: ١٩٩٣م، المعجم الفلسفي: د. عبد المنعم الحفني، ص٩،١٠، ط. أولى: ١٤١٤هـ، ١٩٩٠م.

وقد اقتبس " نيتشه " من " هيراقليطس " فكرة النار المعنوية الكامنة فى النفس، أو فكرة النار الأثيرية داخل العالم أو الوجود بصفة عامة، والتي بدورها تقود إلى التغير والتحول، وصاغها فى فكرة جديدة تتشابه معها فى المضمون، وهى فكرة " إرادة القوة " وقد اكتنفت هذه الفكرة الشاذة جميع أفكار " نيتشه " وفلسفته، وكانت معول الهدم، أو المطرقة التى قوض بها " نيتشه " مفهوم الدين، والإله، والأخلاق، والوجود الإنسان بصفة عامة.

ومما ساهم أيضاً فى ظهور هذه الفكرة عند " نيتشه " أنه عندما كان شابًا، وقع تحت تأثير أفكار الفيلسوف الألماني " شوبنهاور" واطلع على كتابه " العالم كإرادة وتصور" وتأثر بنظريته التى تقول: إن الإرادة أو القوة البدائية هي التي تقود التغيّر في الكون، وعليه فإن إرادة الحياة تعد مظهراً من مظاهر الإرادة في الكائنات الحية، وهي علة الرغبة في البقاء على قيد الحياة والإنجاب، ولكن بناءً على النزعة التشاؤمية التى اكتنفت فلسفة " شوبنهاور " ذهب إلى أن إرادة الحياة لا تسبب لنا شيئًا سوى الألم، لأنها مصدر للشقاء والسعى فى تحقيق الرغبات النهمة، وبناءً على ذلك ذهب إلى أن أفضل ما يجب فعله هو التخلي عن هذه الإرادة، وإيجاد السلام بدلاً من ذلك في الفن والتعاطف، وقد أثارت فكرة " شوبنهاور" عن " الإرادة " إعجاب " نيتشه "، وتبنى هذا المذهب واعتنقه، ودعا صاحبه " أباه " ثم أقبل على الفلسفة، وترك الأدب، لأنه وجد أن الفلسفة تنظر في الإنسان، والعالم مباشرة، بينما الأدب يظهرنا على العالم، والإنسان من خلال الكتب [١] .

---

(١) انظر: الأيديولوجيا والهوية الثقافية، الحداثة وحضور العالم الثالث: جورج لارين: ترجمة: فريال حسن خليفة، ص٩٦، مكتبة مدبولى الصغير، ط. ٢٠٠٣م، تاريخ الفلسفة الحديثة : يوسف كرم، ص ٤٠٦.

ولكن على الرغم من إعجاب نيتشه بفكرة الإرادة عند " شوبنهاور " ـ بصفة عامة ـ إلا أن فكرة إرادة الحياة التى وضعها لم تصادف إعجابه، ووجدها متناقضة، وغير قادرة على تفسير العديد من السلوكيات الكونية التي تبدو مضطربة، ومن هنا بدأ فى تطوير فكرته الخاصة عن القوة الدافعة وراء التغيّر، وفي أوائل ثمانينيات القرن التاسع عشر بدأ " نيتشه" فى الكتابة عن فكرة " إرادة القوة " كجزء مهم من تفكيره، وخاصة فى كتابه " هكذا تكلم زرادشت " في فصل الانتصار على الذات، وقد كان من جملة ما ذكره فى هذا الموضع قوله:

ما عثر على الحقيقة من قال بإرادة الحياة، لأن مثل هذه الإرادة لا وجود لها، وليس للعدم إرادة كما أن المتمتع بالحياة لا يمكنه أن يطلب الحياة، ولا إرادة إلا حيث تتجلى حياة، ومع هذا فإن ما أدعو إليه إنْ هو إلا إرادة القوة لا إرادة الحياة، فليس للعدم إرادة، إن هنالك أمورًا كثيرة يراها الحي أرفع من الحياة نفسها، وما كان ليرى أشياء أفضل من الحياة، لو لم تكن هنالك إرادة القوة، هذا ما علمتني إياه الحياة يومًا، وأنا بهذا التعليم أهتك أسرار قلبكم، أيها الحكماء، فأقول لكم: إنه ليس هنالك من خير دائم وشر دائم؛ لأن على الخير والشر كليهما أن يندفعا أبدًا إلى التفوق والاعتلاء، فبناءً على أن كل جميع الأشياء الموجودة فى العالم تتغير، وأن الكائنات الحية تسعى إلى الازدهار، وأن الإنجاب هو فقط أحد جوانب الازدهار، والدافع للازدهار في الكائنات الحية هو ما يجعلها دائمًا في حالة صراع، وأن الكائنات الحية غالبًا ما تخاطر بالموت من أجل الازدهار، فمن منظور إرادة القوة بوصفها محركَ كفاح الإنسان والحيوان، والمظهر الكوني للتغيّر نفسه، وبداية من الكائنات وحيدة الخلية

وصولًا إلى النباتات والحيوانات، تجد جميع الكائنات الحية نفسها في صراع من أجل البقاء، هذا العالم هو وحش من الطاقة، بلا بداية أو نهاية، كمٌ ثابت لا يتغير من الطاقة، لا أكثر ولا أقل، لا يتبدد مطلقًا، وإنما يتحول فقط، بحجم غير قابل للتغيير ككل، وبرصيد بلا نقصان أو خسائر، ولكن بالمثل بلا زيادة أو أرباح، يحده " العدم" هذا العالم هو إرادة القوة – ولا شيء غير ذلك."! (١)

إن التصور الجديد الذى يقدمه " نيتشه " للعالم ينص على أن العالم الموجود ليس شيئاً فى طور التشكل والصيرورة، شيئاً عابراً أو بعبارة أدق إنه يصير، يمر، ولكنه لم يشرع أبداً فى الصيرورة، ولم يكف عن المرور، إنه يحافظ على شكله فى هذين الشكلين{...} إنه يعيش فى ذاته، وفضلاته هى غذاؤه، وبهذا التصور الغريب يعلن نيتشه بوضوح رهيب أن ما يريده ويطلبه من الناس هو تمجيد الأرض، وإضفاء المعنى الإنساني، لا الإلهى أو الميتافيزيقي على هذا العالم، من خلال تمجيد الحياة، والتعلق بالطبيعة، والحياة الأرضية، ويؤكد " نيتشه " أنه لا يجب أن تشغلنا فرضية كون هذا العالم مخلوقاً ولو للحظة، بل ما يجب أن يشغلنا هو أن هذا العالم يعيد إنتاج نفسه بشكل رهيب، بشكل يتطلب منا تفسيراً عميقاً.(٢)

---

(١) انظر: هكذا تكلم زرادشت: فردريك نيتشه: ترجمة: فليكس فارس، ص١٤١، وما بعدها، نيتشه: القوة التى بداخلنا: ستيفن غامباردیلا: ترجمة: على رضا، موقع: معنى، ١٥ مارس ٢٠٢٤م.

(٢) انظر: فردريك نيتشه والرفض المتعالي للعالم: د. علاء جواد كاظم، ص٢٢، وما بعدها

النزعة الفردية في فكرة العود الأبدي:

تتوالى أفكار " نيتشه " الفلسفية الغير مبررة، والغير معقولة، والتي تنبع من نزعته الفردية المتطرفة، حتى تتمثل في فكرة «العود الأبدي» أو «التكرار الأبدي» التي لا تعطي للكون أو للموجودات نهاية قاطعة، هذه الفكرة التي يكتنفها الغموض، والتي أربك بها " نيتشه " كثيرًا من المفكرين، والعامة .

وفكرة العود الأبدي بصفة عامة يمكن أن تنطلق من مسارين أو طريقتين :

الأولى: وتقتضي بأن العود الأبدي هو طقس ديني في الأساس ينفذه الشخص أو الجماعة المتدينة لكي تقطع مسرى التاريخ المتواتر وتعود إلى التاريخ الأسطوري، أو إلى الأبد الأزلي الغائر في الزمان الأبعد، حيث كانت بداية الخليقة، أو بداية الأحداث المقدسة، وهذه الطريقة تعاملت معها الشعوب البدائية، وشعوب الحضارات القديمة والوسطة .

الثانية: وهي التي يرى أصحابها أن حركة الزمان لا تعتمد بشكل مستقيم إلى الأبد، بل لا بد أن تتوقف عند نهاية معينة، وبعدها يبدأ الزمان من جديد، من نفس بدايته الأولى، وهكذا إلى الأبد، وهذا يعني أن الأحداث فى كل دورة زمانية ستكون نفسها، وستتكرر مرة أخرى[١] .

والملاحظ أن الفرق بين الطريقتين يرجع إلى أن الأولى مجرد طقس ديني أو اعتقاد اسطوري، أما الثانية فهي اتجاه فكري وفلسفي، ولكن كلتا الطريقتن تقومان على فكرة أن الأحداث والمشاهد التي يمر بها العالم يمكن أن تعود أو

---

(١) انظر: العود الأبدي، العودة إلى الأصول والصراع بين الأسطورة والتاريخ : د. خزعل الماجدي، ص٤، تكوين للنشر والتوزيع، الكوت، ط. ثانية .

تتكرر من جديد كما هي، سواءٌ أكان عن طريق إجراء طقوس معينة كما في الطريقة الأولى، أم عن طبيعة العالم نفسه، وبدون أي تدخل من أحد، و"نيتشه" على اعتبار أنه من فلاسفة الفكر المعاصر، فإن مفهوم فكرة «التكرار الأبدي» عنده يرجع إلى الطريقة الثانية، بل هو واضعها بهيئتها المعهودة حاليًا في الفكر الغربي الحديث.

وفكرة «العود الأبدي» هي: محاولة من " نيتشه " لأن يستوعب الاستمرار في الحركة الدائمة، والثبات والصيرورة، حتى لا يهرب شيء أبدًا من قانون الحركة، ولذا تتم إعادة تصريف الزمان، ويظهر العود الأبدي إن الدورة الحالية للزمان ستنتهي، ولكن لن يتوقف الزمان إذ أنه سيبدأ في التو دورة أخرى لا تختلف عن سابقيتها في أي شيء، وحينما تنتهي ستبدأ من جديد بنفس الطريقة، فهو عود أبدي مادي آلي رتيب، والإنسان كالساعة الرملية سيعود من جديد، ويذهب من جديد أبدًا، إنها تكرار أبدي لنفس الشيء، ولنفس الحياة(١).

وقد نقل «لورانس جين» نص " نيتشه " في « فكرة العود الأبدي» بقوله: إن " نيتشه " ما دام يقدم عزاءً ميتافيزيقيًا لمشاعرنا المهجورة بسبب فقد آلهتنا، فزدادشت في الرؤية واللغز يصف طريقين : الأول : يسير من الماضي، والثاني : من المستقبل، يلتقيان عند البوابة التي يقف عندها الآن، نُقش على المدخل كلمة «اللحظة» الأزل يكمن خلفه، وأزل آخر يرقد أمامه، سلسلة لا نهاية لها من الأحداث متورط فيها ولا يستطيع تخلص نفسه منها، غير أن

(١) انظر : نيتشه وجذور ما بعد الحداثة: د. أحمد عبد الحليم عطية، ص ١٩١، دار الفارابي – بيروت، لبنان، ط. أولى : ٢٠١٠م.

مركب العلل الذي أنا الآن مرتبط به سوف يتكرر، سوف يخلقني مرة أخرى ! فأنا جزء من هذه العلل التي تخضع للعود الأبدي، سوف أعود مع هذه الشمس، ومع هذه الأرض، ومع النسر والثعبان لا إلى حياة جديدة، ولا من أجل حياة مشابهة، وإنما سأعود أبدًا إلى نفس هذه الحياة بعينها، وأنا لا أتغير، لا في صغيرة، ولا في كبيرة سأعود لكي أعلم الناس من جديد نظرية العود الأبدي»[1] .

وبصفة عامة فكرة «التكرار الأبدي» عند " نيتشه " تقوم على مبدأين هما: تناهي القوى، وأبدية الزمان، وهذا معناه أن ما في المادة من قوة التشكل متناهي ومحدود، في حين أن الزمان أبدي، ويبتلع في جوفه كل محدود، ومعنى ذلك أن يستنفذ كل شخص عبر القرون ما يتاح له من الصور المتغيرة، ثم تعود إليه الصورة القديمة، ليعيش حياته السابقة بكل ما فيها من دقائق وتفاصيل، ومن الضروري القول بتكرار هذا العود بما يتناسب مع أبدية الزمان، ومن الضروري كذلك أن يتم هذا التكرار الأشخاص والأشياء جميعًا على حسب قول " نيتشه " « كل شيء يعود، حتى " نيتشه "نفسه سيعود»، فالعالم إذًا أشبه ما يكون بشريط سينمائي، ما أن ينتهي حتى يبدأ من جديد، ومهما كان حجم الفاصل الزمني بين كل حياة وأخرى، فلا قيمة لها، ولا اعتداد به، إذ من الواضح أنه يخرج عن دائرة إحساس المرء بالزمان، وما يحويه من ظواهر وأحداث، ذلك لأن الميت لا يشعر بمرور الوقت، ولا يحس بتعاقب الأيام

---

(١) انظر : نيشته : لورانس جين، كني شين، ترجمة : إمام علد الفتاح، ص ٩٢ وما بعدها، المجلس الأعلى للثقافة والنشر – القاهرة ٢٠٠٢م.

والسنين، فالفترة بين كل موت وميلاد تمضي، وكأنها ومض برق سريع، هي إذًا حياة متعاقبة، ومتماثلة وفي ظل هذا التكرار الأبدي على المرء أن يختار نوع الحياة التي يريد أن يحياها مرة أخرى، ولا يكون ذلك بمجرد الإرادة والاختيار، ولكن بالممارسة العملية اتي تحدد سلوكه وتؤكد اختياره، والقاعدة الذهبية للسلوك كما يستخدمها " نيتشه "هي: « عش كما تحب أن تعيش ثانية»(١).

تعقيب:

لقد اتضح من خلال عرض مفهوم العالم عند " نيتشه " أنه أثبت وجود العالم المشاهد بكل وقائعه وأحداثه وهذا لا شيء فيه، ولكن المخالفة فى أنه أعطى للعالم الطبيعى القدرة على التغير، والتحول، والصيرورة من تلقاء نفسه، وبدون تدخل أى قوة إلهية خارجية تدبره، أو توجهه، وقد كان هذا الاتجاه هو الخطوة الأولى فى إنكار الإله عند " نيتشه "، أو تحرير مفهوم العالم من فكرة وجود الإله، هذا بالإضافة إلى أنه اعتمد فى تكييف حركة العالم والموجودات على فكرة " التكرار أو العود الأبدى " هذه الفكرة التى هى أشبه ما تكون بالخيال، لأنها لم تحدث في الواقع، ولن تحدث، لذلك يشبهها البعض في مفهومها، وصورتها الكلية، بأنها كالشريط السينمائي الذي يُعرض ويشاهد، وبعد أن ينهي يمكن للشخص أن يشاهده من جديد بجميع أحداثه، ومشاهده، وأشخاصه، وهكذا دواليك .

---

(١) انظر : أعلام الفلسفة الحديثة: د. رفقي زاهر، ص ١٣٩، ١٤٠، نيتشه : فؤاد زكريا، ص ١٣٨ وما بعدها.

هذا والسبب في انحراف هذه الفكرة – عند " نيتشه "– وغيرها من الأفكار يرجع إلى أن " نيتشه " جعل العالم خاليًا من كل فكرة عقلية، وجعل العالم يتحرك من تلقاء نفسه ويعيد أحداثه، وحركاته، لأن عقله المريض صور له أن المادة بأحداثها وصورها متناهية في حين أن الزمان ليس متناهيًا، وسيستمر إلى ما لا نهاية وعليه، فإن المادة لن تستطيع أن تساير الزمان بأحداث وصور، وأشخاص جديدة، والحل في ذلك أن تعيد المادة صورها وأشكالها وأشخاصها من جديد، أو من الطور الأول، هذا التصور الساذج الذي جعل المادة والزمان هما الإله، وهما أيضًا المحركان للكون والحياة بدون الرجوع لأي عقل، أو مؤثر، وهكذا يستمر الوجود والحياة إلى ما لا نهاية.

صحيح أن كثيرًا من الأحداث تتكرر في الوجود نظرًا للعلاقة بين السبب والمسبب، وصحيح أن الأشخاص تتشابه، ولكن ليس صحيحًا أن تتكرر نفس الأشخاص بعد فنائها، وتعود نفس الأحداث التى مرت بها، في هذا العالم الطبيعي الفاني، إن جميع الديانات السماوية قررت فكرة العودة والبعث الروحاني والجسماني، ولكن هذا العود ليس في الدنيا، وليس من أجل عرض الأحداث الدنيوية والمادية، بل هو عود في الآخرة، وبعد فناء هذا العالم المادي هذا علاوة على أن العود يكون لغرض اسمى، وهو تحقيق مبدأ «الثواب والعقاب» و«الجنة والنار» وهذا ما ينفيه تمامًا " نيتشه " لأن فكرة العود أو التكرار الأبدي عنده تشبه إلى حد كبير فكرة " تناسخ الأرواح " التي قالت بها بعض الطوائف المنحرفة عقديًا، والتي أنكرت أيضًا مبدأ القيامة، أو العالم الآخر.

يقول د. وفقي زاهر : على الرغم من أن " نيتشه "يعطي لنفسه قِصب السبق إلى هذه الفكرة إلا أنه مسبوق إليها بما تقرر في الفكر الإغريقي، فقد تحدث عنها كل من «اينكسماندر» و «هرقليطس» و «الفيثاغوريون» على اختلاف بينهم، وعلى الرغم من أن الكاتبين عن " نيتشه " قد ذكروا أن التكرار الأبدي انتصار للإنسان على أعدى أعدائه اليأس من الماضي، والخوف من الموت، إذ ما دام الماضي سيعود بتفاصيله فلابأس منه، وما دام الموت سيعقبه ميلاد فلا خوف منه، إلا أن الديانات السماوية كلها قد سبقت " نيتشه " إلى تحطيم الخوف من الموت، وذلك بما قررته من أمر المعاد، أما عن مبدأ عودة الماضي بتفاصيله فليس دائمًا ما تتعلق به الرغبة، ويتجه إليه التمني بل كثيرًا ما يستنزل المرء أشنع اللعنات على ماضيه محاولاً التخلص من صوره القاتمة، وذكرياته السوداء [١] .

ويقول د. فؤاد زكريا: إن فكرة العود الأبدي ترتبط ضرورة بالإيمان بالآلية، فلا محل لها إلا في مذهب يؤكد أن الضرورة المطلقة تتحكم في الحوادث، وأن وقوع الحادثة يستتبع وقوع سائر الحوادث منها على نحو آلي تمامًا، والقول بأن القوى الكونية متناهية، وبأن الزمان لا متناهي – ولو افترضنا جدلاً – أنه صحيح، فلن نستنتج منه سوى أن من الممكن أن تطرأ على الكون حالة طرأت عليه من قبل، أما أن يسير الكون كله على نفس النحو الذي سار عليه، أو فيه من قبل تمامًا، فهذا يقتضي تحكم الآلية في مساره، وسيادة العلية الدقيقة، في كل تطوراته، وهذا الأمر، يصعب تصوره[٢] .

---

(١) انظر : أعلام الفلسفة الحديثة : د. رفقي زاهر، ص ١٥٣.

(٢) انظر: نيتشه : فؤاد زكريا، ص ١٤٦ .

إن فكرة «التكرار الأبدي» قد جعلت الماضي قدرًا يلاحق الناس في كل عود، فيبهج نفوسهم بوروده، أو يلهب ظهورهم بسياطه ألا يمكن أن يكون قد سبق حياتنا الراهنة – على حسب قول " نيتشه "– عشرون عودًا، وتحددت نهائيًا ملامح الدور الذي علينا أن نلعبه، في كل عود؟ بل أليس هذا الدور مرتبطًا بالوجود كله، فكيف استطيع التبديل في دوري كما أريده»[1] وحقًا هي فلسفة متطرفة، ونزعة فارغة تخرج من عقول خاوية تضرب في الكون والوجود بلا هوادة، ولا طريق مستقيم، لأنها نبذت دينها، وأنكرت خالقها، ورفعت بشريتها، وماديتها فوق كل اعتبار.

(١) انظر: أعلام الفلسفة الحديثة : د. رفق زاهر، ص ١٥٣.

المطلب الثاني: النزعة الفردية في فكرة وجود الإنسان عند نيتشه

بداية تنبغي الإشارة إلى أن ثورة " نيتشه " العارمة التي وجهها ضد الدين، والمجتمع، والقيم والثوابت قد بدأت من نقده لمفهوم الإنسان الذي كان سائدًا في عصره، والذي كان سائدًا أيضًا في العصور الماضية، أو السابقة عليه، والهام أن " نيتشه "عندما أراد أن يقيم مفهومًا جديدًا للإنسان لم يستند على إطار ثابت، أو نظرية عامة مقررة من قِبل الدين، أو المجتمع، بل حاول أن يصيغ مفهوماً شاذاً ينبع من ذاتيته، ومن فرديته، ثم حاول أن يعممها في المجتمع.

يقول " نيتشه ": تحسبًا لكوني سأضع البشرية عما قريب أمام إلزامات جسيمة لم تعرف لها مثيلاً في السابق، فإنه يبدو لي من الضروري أن أقول لكم من أنا، مع أنه من المفترض في الواقع، أن يكون الناس على علم بذلك، لأنني لم أكن لأدع نفسي « أظل نكرة » غير أن عدم التناسب بين جسامة مهمتي، وحقارة معاصريّ قد تجسد في أنني بقيت لا أسمع، بل ولا أرى حتى .....إلى أن يقول: إني لأفضل أن أكون مهرجًا على أن أكون قديسًا، إن آخر ما يمكن أن يخطر لي أن أعد به هو « إصلاح البشرية، كما أنني لن أشيد أصنامًا جديدة، وليعلم القدامى ما الذي يجلبه الانتصاب على قدمين من صلصال، تحطيم الأصنام – وهذه كلمتي المفضلة للتعبير عن المثل – هي حرفتي، ذلك أنه بمجرد أن ابتدعت أكذوبة عالم المُثل قد تم تجريد الواقع من قيمته، ومن معناه، ومن حقيقته «العالم الحقيقي» و «العام الظاهري» أو بعبارة

أكثر وضوحًا: العالم المبتدع والعالم الواقعي، إن أكذوبة المُثل ظلت إلى حد الآن اللعنة الجاثمة فوق الواقع، وغيرها غدت الإنسانية نفسها مشوهة، ومزيفة حتى في غرائزها الأكثر عمقًا(١) .

والملاحظ أن مفهوم الإنسان الذي يريد أن يقره " نيتشه " هو مفهوم خال من جميع القيم، أو المثل، كما انه مفهوم حسي خالص، ولا يعترف إلا بالحس أو الظاهر، والذي يعطيه في نفس الوقت القيمة، والصفة، هو أيضاً الإنسان نفسه .

يقول نيتشه: إن الإنسان إنما سُمي إنسانًا لأنه قوّم الأشياء، وقدر قيمتها ووزنها، ووضع لها ثمنًا، فهذا أمر رفيع، وذاك شأن حقير، وأول أشرف، وثان أخس، وهذا أرفع قدرًا ومكانة، وذاك أخفض ذلاً ومهانة، إن الإنسان ما هو إلا الكائن المقدر أو المقوم بامتياز، أي الكائن الذي أقام للأشياء قدرها، ووزنها، ولولا أن الإنسان ملأ الوجود بتقويماته، وقياساته لما كان الوجود برمته سوى قشور لا نواة فيها، أو فاقدًا للمعنى معدومًا للدلالة(٢) .

إن مفهوم الإنسان عند " نيتشه " تطغى عليه النزعة الفردية، وذلك لأنه جعله هو المقوم، وهو الذي يُعطي للأشياء وزنها وقيمتها بدون الرجوع لأي علة

---

(١) انظر : هذا هو الإنسان : فريدريك نيتشه، ترجمة : علي مصباح، ص ٧، ٨ منشورات الجمل.

(٢) انظر: هكذا تحكم زرادشت : فريدريك نيتشه: ترجمة : علي مصباح ص ٤٥ وما بعدها، منشورات الجمل، ط أولى ٢٠٠٧م.

أخرى في الكون، في حين أن جميع الأديان السماوية، وفي مقدمتها الإسلام، قد أشارت إلى أن الإنسان تابع، وليس متبوعًا، وأن الذي وهب الإنسان فكره التقويم والتصنيف، والتسمية هو المولى (ﷻ) عن طريق المعارف الأولية أو الفطرية التي أوجدها في عقله قال تعالى :**{ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا }**[١].

يقول أحد الباحثين: لما ثبت أن تعريف " نيتشه " الجوهري للإنسان قد تضمن قوله: إنه الكائن الواهب القيمة للوجود، ساغ لنا أن نتساءل: أما للوجود معنى في ذاته؟ أما للوجود قيمة مسبقة في ذاته حتى ننتظر مجيء الإنسان وتقويماته، ثم ما معنى أن يهب الإنسان القيمة للوجود ؟ وما معنى أن يقوم الإنسان الوجود، بل ما معنى التقويم ذاته؟ و" نيتشه " يفاجئ الجميع حين يقول: بدءًا بأن الوجود ليس له معنى في ذاته، ولا قيمة له في نفسه، ولا دلالة له في أمره[٢] .

هذا والجدير بالذكر أن " نيتشه " قد نظر إلى الإنسان نظرة تطورية، بناءً على قوله بعدم وجود ماهية أو جوهر ثابت للإنسان، وأن الإنسان في تغير مستمر، ولا خصوصية له عن باقي الكائنات ما عدا أنه مرحلة متقدمة من التطور، لكن التطور عند " نيتشه " يصل إلى مرحلة أعلى، أو ما سماه

---

(١) سورة البقرة : من أية (٣١) .

(٢) انظر: نقد الحداثة في فكر نيتشه : د. محمد الشيخ ص ٢٩٦، الشركة العربية للأبحاث والنشر، ط. أولى ٢٠٠٨م.

بالإنسان الأعلى، فينتقل الجنس إلى جنس آخر مخالفًا له، وامتدادًا طبيعيًا لتطوره، لكن يرى في دراسة تطور الجنس البشري أن هذا الأخير عرف انتكاسة، فبدلاً من أن يتطور تقهقر، وبناءً على ما سبق يمكن تصنيف البشرية عند " نيتشه " إلى أربعة أصناف:

١ – الإنسان العادي، أو الإنسان الذي كان ما قبل سقراط.

٢ – إنسان العدمية النافية.

٣ – الإنسان المتفوق .

٤ – الإنسان الأعلى[١] .

أولاً: الإنسان العادي : أو الإنسان الذي كان قبل سقراط :

يُعد الإنسان العادي في نزعة " نيتشه "الفردية، أو في تفكيره الذاتي الغير مسبوق أدنى أصناف الإنسان أو البشرية، لأنه يرى أن الإنسان العادي هو الجسر بين الحيوان، والإنسان الأعلى منه في الدرجة حيث يقول: ما الإنسان – أي الإنسان العادي – ما هو إلا حبلٌ منصوب بين الحيوان، والإنسان المتفوق، فهو الحبل المشدود فوق الهاوية.... إلى أن يقول: إني لآت إليكم بنبأ الإنسان المتفوق، فما الإنسان العادي إلا كائن يجب أن نفوقه، فماذا أعددتم للتفوق عليه؟ إن كلاً من الكائنات أوجد من نفسه شيئًا يفوقه، وأنتم

---

(١) انظر: مفهوم الإنسان عند نيتشه: خمري رضا، ص ١٢١٧، ١٢١٨، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد العاشر، العدد الأول : ٢٠٢٢م، المدرسة العليا للتيسير والاقتصاد الرقمي، الجزائر.

تريدون أن تكونوا جزرًا يصد الموجة الكبرى في مدها، بل إنكم تؤثرون التقهقر إلى حالة الحيوان بدل اندفاعكم للتفوق على الإنسان، وهل القرد من الإنسان إلا سخريته وعاره ؟ لقد اتجهتم على طريق مبدؤها الدورة، ومنتهاها الإنسان، غير أنكم أبقيتم على جل ما تتصف به ديدان الأرض، لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى، على أن الإنسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القرود في قرديته[١] .

والملاحظ أن " نيتشه " قد تأثر في وصفه للإنسان العادي بنظرية الفيلسوف البريطانى " دارون " (١٨٠٩ـ ١٨٨٢م) التي ترى أن الإنسان في أصله كان قردًا، وكان خلوًا من كل فكرة عاقلة، وقد برهن على ذلك بأن المرحلة البشرية التي كانت قبل سقراط كانت تمتاز بإعطاء أهمية للغرائز بدل العقل، والنزعة الحسية المطلقة[٢].

يقول ول ديورانت : لقد كان " نيتشه " طفلاً وأخًا لـ " بسمارك " (١٨١٥ـ ١٨٩٨) أو بعبارة أوضح قد تأثر إلى مدى واسع بنظرية " دارون "، وسياسة الألماني " بسمارك "، ولا يهمنا كثيرًا سخريته من اتباع التطور في إنجلترا، وأنصار القومية في ألمانيا، فقد اعتاد أن يهاجم الذين أثروا عليه أقوى الأثر، لقد كانت هذه طريقته اللاشعورية في تسديد ديونه لمن استمد منهم معظم أفكاره

---

(١) انظر : هكذا تكلم زرادشت: فريدريك نيتشه : ترجمة: فليكس فارس، ص ٦، وما بعدها، مطبعة جريدة البصير، الإسكندرية، ١٩٣٨م.

(٢) أنظر: فلسفة الأخلاق عند نيتشه : يسري إبراهيم، ص ٣٣١، دار التنوير، لبنان، ٢٠٠٧م.

وفلسفته، ويرى " نيتشه " أن الشر والحسد، وحتى الكراهية أمور لا بد منها في الكفاح، واختيار الأفضل وبقاء الأصلح، ومن المستحيل أن يتقدم الشعب ويتطور إلا إذا حطم العرف، واخترق التقاليد القديمة، والنظم الجامدة(١)

وفي الحقيقة إن هذه الصورة التي مثل بها " نيتشه " الإنسان، تُظهر " نيتشه "على أنه لا يخضع لمنطق، أو نظام ويظل يلهو بتفكيره بين المتناقضات دون مبالاة، ثم يقال لنا بعد ذلك إن " نيتشه " في هذه الصورة يسمو على الفلاسفة " التجريديين" فنحن لا نكاد نتصور أن يتصف مفكر كـ " نيتشه "– كما يدعي البعض – بمثل هذه الصفات التي وضعها للإنسان، والتي يأبى أي إنسان عاقل أن تُنسب إليه، وإن أبسط فهم للنفس البشرية يؤدي بنا إلى القول بضرورة وجود وحدة للشخصية الإنسانية، مهما تباينت الأحوال التي تمر بها، إذ أن الوحدة هي أبرز صفات الشخصية الإنسانية، والاتساق في المسلك هو أول ما يميزها عن الحيوان، فلا بد إذًا من نوع من الثبات حتى يسمو الإنسان على المرتبة الحيوانية، وإلا وقع فيما هو شر من الحيوانية، أعني في الجمادية(٢) .

ومن خلال مطالعة كتابات نيتشة وفهمها يمكن القول إن فيها كثيرًا من المعاني والمفاهيم التي تلتقي مع الفكر الوجودي، خاصة وأن أهم صفات

---

(١) قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي ول ديورانت، ترجمة : د. فتح الله محمد المشعشع، ص ٥٠٤، ٥٢٨، مكتبة المعارف – بيروت، ط. سادسة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٢) انظر: نيتشه : فؤاد زكريا، ص ٣٧، ٣٨.

التفكير الوجودي، تأكيده لفكرة تجدد الوجود الإنساني، فليس للإنسان ماهية ثابتة، بل إن وجوده سابق على ماهيته، أو هو الذي يكوّن ماهيته، فمن خلال وجود الإنسان تتحقق ماهيته، وليست له أي ماهية ثابتة تتحدد مقدمًا، ويعبر " نيتشه "عن هذه الفكرة ذاتها حين يصرح بأن الإنسان في محاولة دائمة لا تعرف الاستقرار، فهو لا يرضي ولا يقف عند حد، والإنسان على حد تعبيره، هو الحيوان الذي لم يثبت بعد، وهو الحيوان الذي لم يُصنف أو يُحدد نوعه[١] .

ثانيًا: إنسان العدمية السالبة :

العدمية ببساطة تقوم على نفي وجود معنى متأصل في الحياة، وإنسان العدمية عند " نيتشه " هو من يقبل بالتضحية، ونكران الذات كأمثلة أخلاقية، وقد رأى " نيتشه " أن القبول بأمثلة تنفي الذات هو دليل على أن العدمية السلبية تنتشر كالمرض في أوروبا في القرن التاسع عشر، كما رأى أيضًا أنه بدل من أن يتطور الإنسان إلى درجة أعلى حدثت له انتكاستان : الأولى: عقلية، والثانية: دينية، وقد سمى هذه المرحلة بالعدمية النافية، وقد رأى أن الانتكاسة العقلية بدأت مع سقراط الذي انتقده " نيتشه " بشدة، من خلال انتقاده للنزعة العقلية، والإنسان النظري الذي ينشغل بالبحث عن إنشغاله بالحقيقة نفسها متوهمًا أن العقل يستطيع أن يكشف عن حقيقة الوجود، وأنه ليس قادرًا فقط على معرفة الوجود بل على تصحيحه أيضًا [٢] .

فسقراط على حد قول " نيتشه " هو أول من ضيق مفهوم الحياة وأنقص من قيمتها عبر المنهج العقلاني الذي أرسى قواعده، وذلك عندما اعتبر الوعي أهم

---

(١) انظر : المرجع السابق، ص ٤٣، ٤٤.

(٢) انظر: فلسفة الأخلاق عند فردريك نيتشه : يسري إبراهيم، ص ١١١.

من اللاوعي، لكن في الحقيقة ما يغلب على الكون هو اللاوعي، وما الوعي إلا لحظة انهزام واستسلام تتحقق فيه العودة إلى الذات عبر التأمل الباطني العميق، ومن هنا كان " إغريق " ما بعد سقراط تجسيدًا للمثال الزهدي، وسقوطًا في العدمية التي بلغت أوجها مع الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة، وذلك لافتراضها عوامل مختلفة، ميتافيزيقية، وعلمية، ودينية، تتقاسم الإنسان، وتضاعف من ورعه الغيبي، وفي المقابل تشتت قواه، حسبما يزعم " نيتشه " فى فكره الفردى الساذج(١).

ويرى " نيتشه " أن أسباب العدمية يرجع إلى :

١- عدم وجود النوع الراقي أي النوع الذي يمكن إنتاجه وقوته اللذان لا ينضب لهما معين من الحفاظ على الإيمان بالإنسان .

٢- إن النوع الأدنى الذي يتمثل في القطيع أو الجماهير أو المجتمع ينسى التواضع، ويضخم رغباته إلى أن يجعل منها قيمًا كونية، وما ورائية، وبهذا تصبح الحياة مبتذلة، ذلك لأن الجماهير حين تحكم فإنها تضطهد الرجال الأفذاذ، وهذا يجعلهم يفقدون الإيمان بأنفسهم، ويدفعهم إلى العدمية(٢) .

والملاحظ أن مفهوم الإنسان في هذه المرحلة لا يفترق كثيرًا عن مفهومه في المرحلة السابقة – مرحلة الإنسان العادي – لأن الإنسان في المرحلة الأولى

---

(١) نيتشه وسؤال إنسان المستقبل : عبد المالك عبادي ص ٣٤٩، مجلة الباحث، المجلد السادس، العدد الثاني عشر، ٢٠١٤م.

(٢) انظر: إرادة القوة محاولة لقلب كل القيم : فردريك نيتشه : ترجمة وتقديم : محمد الناجي، ص٢٥،٢٦، دار أفريقيا الشرق- المغرب ٢٠١١م.

يخلو من كل فكرة، أو اتجاه عقلي أو معرفي، بناءً على أنه نتاج تطوري من أصل حيواني، أو من أصل قرد كما يزعم " نيتشه "، وفي هذه المرحلة أيضًا هو كذلك، لأنه بدلاً من أن يتطور كما حدث في المرحلة السابقة، حدثت له انتكاسة عقلية، ودينية نتيجة للاعتقادات التي كانت سائدة في عصور اليونان، والتي يرى " نيتشه " أنها كانت السبب في انتكاسته، ثم انطلقت هذه الاعتقادات لتصل إلى العصور الحديثة، وتكون أيضاً سبباً فى انتكاستها.

يقول أحد الباحثين : لقد ذهب " نيتشه " إلى أن انحطاط البشرية بدأ من سقراط فبينما كان أصل المعرفة هو نفع الحياة، أصبحت هناك رغبة في المعرفة الخالصة، لذا اعتبر " نيتشه " السقراطية حركة عدائية للغرائز، وللنزعة الفردية فهو يمقت المعادلة السقراطية الشهيرة " المعرفة تساوي الفضيلة، والفضيلة تساوي السعادة "، فهذه المعادلة تعني أنه لا وجود لسعادة دون فضيلة، ولا فضيلة دون معرفة، وأن السعادة لا تكون إلا بمقاومة الشهوات والرغبات، وأن أي امتياز للغرائز يؤدي إلى التدهور، وأن من يعتمد على حواسه في المعرفة، فإن الشقاء سيكون مصيره[١] .

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن " نيتشه " كان مفرطًا ومبتذلاً في نزعته الفردية، والشخصية عندما صور الإنسان في مرحلته الأولى بأنه نتاج تطور طبيعي من أصل حيواني محض، ولم يسبقه أي وجود إنساني من خلق إلهي، وهذا بلا شك تعارض مع جميع الثوابت الدينية والعقلية الصحيحة، ثم

(١) انظر: مفهوم الإنسان عند نيتشه : خمري رضا، ص ١٢١٩.

هو أيضًا قد زاد فى ابتذاله، ونزعته الفردية عندما تصور أن سقراط كان سببًا في انتكاس الجنس البشري عندما حاول أن يرفع من شأن الفضيلة، والعقل في مقابل الجهل، وفى مقابل سيادة مبدأ اللذة الذى كان سائدًا في وقته على يد السوفسطائين، وهذا ليس غريبًا على " نيتشه " خاصة وأنه قد قرر معاداة كل ما هو معقول، والقول بالمذهب الحسي، ونسبية المعرفة، وبهذا يكون " نيتشه " قد تبنى في نزعته الفردية، ـ وبكل شدة ـ فكرة عدم رضاه عن سير الفكر البشري، أو تاريخ البشرية منذ أن تطور عن الحيوان – كما يرى – وحتى اللحظة الراهنة التي كان يعيشها، وهذا بلا شك يهدم كل نتاج ديني، أو فكري، أو حضاري قد أرساه الدين، أو الإنسان في العصور التي كانت سابقة عليه، وهذا مما يجعل نزعته غير معقولة، أو مقبولة .

ثالثًا: الإنسان المتفوق :

يقول " نيتشه " وآخر ما أعد به لإنجازه هو أن أُحَسن البشرية، إني لا أقيم أوثانًا جديدة، إنني لا أريد سوى أن تتعلم الأوثان القديمة، ماذا يعني أن تكون أقدامها من صلصال، أن أطيح بالأوثان هو عين مهمتي، وبقدر ما اخترعنا عالمًا مثاليًا بقدر ما جردنا الواقع من قيمته، ومعناه، وحقيقته، ومن ثم فإن أكذوبة المثالي هي لعنة الواقع، وعلى هذا فإن أشد الغرائز الإنسانية تأسيسًا فيه قد أصبحت كاذبة ومزيفة، ومن ثم أصبحت القيم التي تُعبد هي بالضبط القيم التي تتطاحن في عداوة مع القيم التي تضمن ازدهار الإنسان، ومستقبله، وحقه في ذلك المستقبل[١] .

---

(١) هذا هو الإنسان: فردريك نيتشه : ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص ٩، ١٠، دار هلا للنشر والتوزيع، الجيزة ص. أولى ١٤٣٢هـ : ٢٠١١م.

ويقول أيضًا : ليس هناك راع، وليس هنالك إلا قطيعٌ واحد، إنَّ كل واحد من الناس يتجه إلى رغبة واحدة المساواة سائدة بين الجميع، ومن اختلف شعوره عن شعور المجموع يسير بنفسه مختارًا إلى مأوى المجانين[١] .

إن الإنسان المتفوق، أو إنسان العدمية الفاعلة، الذي يقابل إنسان العدمية السالبة عند " نيتشه "، هو الإنسان المحب للحياة، وهو الذي يستمد قوته من ضعفه، فالحياة عنده لا تتوقف مهما تعرض للنكسات، وهو أيضاً من طبيعة بشرية، وغير متجاوز لها، إلا أنه يمتلك الكثير من الصفات الأخلاقية لأخلاق السادة، يقول " نيتشه" فى مستهل كتابه: " هكذا تكلم زرادشت ": " أريد أن أعلم الناس معنى وجودهم ليدركوا أن الإنسان المتفوق إنما هو البرق الساطع من الغيوم السوداء"، ويرى " نيتشه " أنه على الرغم من أن الإنسان يمتلك الكثير من المواهب والصفات الإيجابية إلا أنه ينقصه عنصر الإثبات، ويعبر " نيتشه "عن هذا النقص بطريقة رمزية فيقول: إن هناك أشياء لا يعرف الإنسان المتفوق القيام بها كالضحك، واللعب، والرقص، فالضحك هو إثبات الحياة، وحتى الألم في الحياة، بينما اللعب هو إثبات الصدفة، وفي الصدفة ضرورتها الخاصة بها، والرقص هو إثبات الصيرورة، وفي الصيرورة الوجود، كما يتحدث " نيتشه "عن الظل كنشاط للإنسان، ولكنه بحاجة إلى الضوء ليظهر الظل، فمن دونه يختفي كما عندما تأتي الظهيرة " [٢] .

---

(١) هكذا تكلم زرادشت: فردريك نيتشه: ترجمة: فليكس فارس، ص٤٨.

(٢) انظر: نيتشه والفلسفة : دولوز جيل : ترجمة : أسامة الحاج، ص ٢١١، ط، مجد للدراسات، لبنان ٢٠١١، نقلاً عن : مفهوم الإنسان عند نيتشه : خمري رضا، ص ١٢٢٤، ثقافة القطيع والإنسان المتفوق عند نيتشه بقلم : أنصار الفلسفة، موقع SIBA ٢٠١٩/١٢/١٣م.

والملاحظ أنه على الرغم من تفرد الإنسان المتفوق ببعض الصفات عن الآخر، وعلى الرغم من أنه محب للحياة، إلا أن " نيتشه " قد صوره في نزعته الفردية بالجمود، ووضعه في قالب ثابت لا ينفك عنه، وذلك لأنه يرى أن الانفكاك عن الجمود هو إثبات للحياة في حين أن الحياة من وجهة نظره عدم، ولا وجود لها، ولم يأتي طور إثباتها بعد.

يقول بيار هيبر سوفرين : الإنسان المتفوق عند " نيتشه "يرتقي على الإنسان العادي، وعلى إنسان العدمية النافية، لكنه ليس إنسان الإثبات، فليست غايته في ذاته، وهذا ما عبر عنه " نيتشه " بالظل كنشاط إنساني، وأيضًا هذا راجع لانعدام التناسب في الإنسان المتفوق، وأنه مزيج من الأيدلوجيات – أي الأفكار – الإنسانية، فالإنسان المتفوق هو نموذج الإنسان العدمي لكن عدمية فاعلة، ولكنه أيضًا ما زال لم يصبح هو الغاية في ذاته(١).

وقد مَثَّل " نيتشه " هذه النزعة المتطرفة في كتابه « هكذا تكلم زرداشت » بقوله : قضى زرداشت عشر سنوات منعزلاً في لهفة، ومستغرقًا في التأمل والتفكير ومتواريًا عن الناس الذين أحبهم كثيرًا فاتجه إلى غابة بعيدًا عن وطنه وبحيرته، كي يزيد في حبهم استغراقًا وها هو الآن يغادر كهفه، وينشد الناس، فيقف أمام حشد منهم، ويخطب فيهم قائلاً: " إنني آت إليكم بنبأ الإنسان المتفوق إذ ليس الإنسان العادي إلا كائنًا يجب أن نفوقه، فماذا أعددتم للتفوق عليه؟ إن كلاً من الكائنات أوجدت من نفسها شيئًا يفوقها، وأنتم تريدون أن

---

(١) انظر : زرادشت نيتشه، بيار هيبر سوفر ين : ترجمة : أسامة الحاج، ص ١٥٠، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان ١٩٩٤م.

تكونوا جزرًا يصد الموجه الكبرى في مدَّها بل إنكم تؤثرون التقهقر إلى حالة الحيوان بدلاً من اندفاعكم إلى التفوق على الإنسان، وهل القرد من الإنسان إلا سخريته وعاره "؟

لقد اتجهتم في طريق مبدؤها الدودة ومنتهاها الإنسان، غير أنكم أبقيتم على جُل ما تتصف به ديدان الأرض، لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى، على أن الإنسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القرود في قرديته، لقد أتيتكم بنبأ الإنسان المتفوق: إنه من الأرض كالمعنى من المبنى، فلتتجه إرادتكم إلى جعل الإنسان المتفوق معنى لهذه الأرض وروحًا لها، ليس الإنسان إلا حبلاً منصوبًا بين الحيوان، والإنسان المتفوق، فهو الحبل المشدود فوق الهاوية[١] .

رابعًا : الإنسان الأعلى «السوبر مان» :

بداية تنبغي الإشارة إلى أنه بناءً على نزعة " نيتشه " الفردية، والغير مبررة أو معقولة، والتي تَعج بالاصطلاحات والمفاهيم المتشابهة خلط البعض بين مفهوم الإنسان المتفوق، ومفهوم الإنسان الأعلى في حين أن المفهومين متغايران، وذلك لأنه بناءً على تصور " نيتشه " لمفهوم الإنسان نجد أنه قد أشار إلى أن الإنسان المتفوق ما هو إلا تطور طبيعي للإنسان العادي – كما سبقت الإشارة – وقد ظهر بالفعل في التاريخ البشري، أما الإنسان الأعلى فهو نموذج فريد ونادر، ولم يظهر في الوجود بعد[٢] .

هذا ويبرر " نيتشه " فكرة " السوبرمان " الشاذة بأنه إذا كان التطور البيولوجي قد تأدى إلى الإنسان الحاضر، فليمض بنا التطور حتى نتوصل إلى

---

(١) انظر: هكذا تكلم رزداشت : نيتشه، ترجمة : فليكس فارس، ص ٦ وما بعدها .

(٢) انظر : نيتشه والفلسفة : دولوز ديل، ترجمة : أسامة الحاج ص ٢١٦ .

الإنسان الأعلى، أو السوبرمان الذي يتمكن بإرادته من أن يسيطر على الآخرين، ويخضعهم لنفوذه، وهذا يقتضي أن تكون حياته خصامًا لا هوادة فيه، ومغامرة عنيفة لا تنقطع، وألمًا لا يثير في نفسه ضيقًا، فالإنسانية تُخطئ حين تُبقى على حياة الضعفاء، وتعمل على ترقية الدهماء، وتُحسن صنعًا إذا حصرت غايتها في التسامي بالصفوة الذين وهبوا القوة والجمال، ومن الخطأ الاعتماد على الانتخاب الطبيعي وحده في تحقيق هذه الغاية، لأن الطبيعة تقاوم الشذوذ، وتحابي المتوسطين من الناس، وبالتالي تهبط بالممتازين إلى مصاف المتوسطين، ولا ترتفع بالمتوسطين إلى مراتب الممتازين(١) .

يقول " نيتشه ": كل الكائنات ظلت حتى الساعة تُبدع أشياءً فوق منزلتها، وأنتم تريدون أن تكونوا حركة الجزر في هذا الدفق العظيم، فتفضلوا العودة إلى منزلة الحيوان إلى مجاوزة الإنسان(٢) ويلاحظ أن قمة تفكير " نيتشه " تتمثل في إرساء فكرة الإنسان الأعلى أو المتميز الذي تجتمع فيه كل الصفات الإيجابية، وبه تتطور الإنسانية كلها، وعليه تقع مسؤولية قيادتها نحو الأفضل، وهذا الإنسان في نفس الوقت هو الأقدر على وضع المعايير الجديدة للخير والشر انطلاقًا من التوافق التام مع طبيعته، دون إهمال أو إرغام لها(٣).

---

(١) انظر : فردريك نينشه، نبي الفلسفة القوة : كامل محمد محمد عويضة، ص ٩٢، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

(٢) انظر: هكذا تكلم رزداشت : نيتشه، ترجمة: فليكس فارس، ص ٦.

(٣) انظر: فلسفة القوة لبن المتنبئ ونيتشه : د. حامد طاهر، ص ١٨، الناشر: رابطة الأدب الحديث، ص ٨٦، يونيو ٢٠١٤م.

هذا وينبغي التأكيد على أن هذا الإنسان الأعلى الذي يتحدث عنه " نيتشه "ويؤكده في مراحل تفكيره، ليس موجودًا في الوقت الحاضر، وإنما قد يوجد في المستقبل، هذا علاوة على أنه لا يقصد به منزلة عليا، أو راقية من الإنسان الطبيعي الذي يوجد على ظهر الأرض، بل هو منزلة فوق منزلة الإنسان، لأن الإنسان من وجهة نظره قد تطور، وأصبحت له منزلة أعلى من الحيوان، أما الإنسان الأعلى فله منزلة فوق الإنسان الحالي، فالإنسان الأعلى ليس تفوقًا داخل النوع البشري بل تجاوزًا له، فالاختلاف بينهما هو اختلاف بالطبيعة بل بالدرجة، لأن الإنسان الأعلى هو صيرورة وتطور دائم يتجلى في صورة تتزايد على الدوام قواها الذاتية، وتسمو في تغيراتها دون أن يكون لهذا التزايد نهاية، ولا لهذا السمو والعلاء حدًا[1].

يقول أحد الباحثين : لقد أتت فلسفة " نيتشه " كلحظة مفصلية في تاريخ الفلسفة الغربية باعتبارها تنوير للفلسفة المعاصرة، وتلويح بتباشير مستقبلية تحملها نبوءات زرادشت العارف بالمستقبل، ولكن هذا الزرداشت الذي يرافع للمستقبل أهميته هنا وكما يعتقد " نيتشه " تكمن في تجاوزه للواقع مع التماهي معه، فزرداشت الذي يتكلم باسم " نيتشه "هو إنسان المستقبل، أو الإنسان الموعود به، لا على الطريقة الأخلاقية أو الموعظة الدينية بطبيعة الحال، وإنما هو نبي الحياة، لكنه أيضًا مهندس المشاريع الكبرى، إنه غواية القدر، إنه اللعب الذي يدمج فيه الماضي والحاضر، ويعلن عن ميلاد المستقبل، إنه

(١) انظر: نيتشه مكافحًا ضد عصره: رودلف شتانير، ترجمة : حسن صقر، ص ٧٠ وما بعدها، دار الحصاد، سوريا، ١٩٩٨م.

اللاعب الذي يهاب المخاطرة، ولكن لا يستنكف عن الاستمرار فيها، إنه التجاوز أو الطفل الذي يظهر على أنقاض الأسد الذي يمزق الجمل في الصحراء [١] وقد مثل " نيتشه " تحول البشرية، ووصولها للإنسان الأعلى في صورة خيالية أدبية ذكرها في كتابه – هكذا تكلم زرداشت حيث يقول:

سأشرح لكم تحول العقل في مراحله الثلاث فأنبئكم كيف استحال العقل جَملا، وكيف استحال الجمل أسدًا، وكيف استحال الأسد أخيرًا فصار ولدًا: ما أوفر الأحمال التي تثقل العقل الجَلْد الصليب وهو مجلى الوقار، فإن صلابته تتوق إلى الحمل الثقيل بل إلى أثقل الأحمال، يفتش العقل السليم عن أثقل الأحمال، فينيخ كالجمل ظهره متوقعًا رفع خير حُمِل إليه، إن العقل السليم ينادي الأبطال قائلًا: أي حمل هو الأثقل لأرفعه فتغتبط به قوتي؟ أفليس أثقل الأحمال هو في الاتضاع لإنزال العذاب بالغرور؟ أفليس أثقلها أن يبدي الإنسان اختلالًا لتظهر حكمته جنونًا؟ أم أثقلها في تخلي الإنسان من مطلب حين يقترن هذا المطلب بالنصر، أم في ارتقاء قمم الجبال لتحدي من يتحدى؟ أم أثقلها في أن يتغذى الإنسان بأقماع السنديان والأعشاب ويتحمل مجاعة نفسه من أجل الحقيقة، أم أثقلها في احتمال المرض وطرد العوَّاد المعزِّين، أم في مخادنة الصمِّ الذين لا يسمعون ولا يعون ما تريد؟ أم أثقلها في الانحدار إلى المياه القذرة إذا كانت الحقيقية فيها والرضى بملامسة الضفادع اللزجة

---

(١) انظر: نيتشه وسؤال إنسان المستقبل : عبد المالك عبادي، ص ٣٤١، ٣٤٢، محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه : صفاء عبد المنعم ص ٢٤٣، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠١١م.

والعقارب التي تقطر صديدًا، أم أثقلها في محبة من يحتقرنا وفي مدِّ يدنا لمصافحة شبح يقصد إدخال الرعب إلى قلوبنا، إن العقل السليم يحمِّل ذاته جميع هذه الأثقال المرهقة، وكالجمل الذي يسارع إلى طريق الصحراء عندما يُرفع الوقر عن ظهره هكذا يندفع هو أيضًا نحو صحرائه، وهنالك في الصحراء القاحلة يتم التحول الثاني، إذ ينقلب العقل أسدًا؛ لأنه يطمح إلى نيل حريته وبسط سيادته على صحرائه، وفي هذه الصحراء يفتش عن سيده ليناصبه العداء كما ناصب سيده السابق، فهو يستعد لمكافحة التنِّين والتغلب عليه، ومن هو هذا التنين الذي يتمرد العقل عليه فلا يريد بعد الآن أن يرى فيه ربه وسيده؟ إن التنين هو كلمة « يجب عليك » وعقل الأسد يريد أن ينطق بكلمة «أريد» إن كلمة «الواجب» تترصد الأسد على الطريق تنينًا يدرع بآلاف الأصداف وعلى كل قطعة منها تتوهج بأحرف مذهبة كلمة «يجب عليك»، وعلى هذه الأصداف تشع شرائع ألف عام والتنين الأعظم يعج قائلًا إن جميع الشرائع تتوهج عليَّ، كل ما هو سنَّة قد أوجد من قبل، وبي تتمثل جميع السنن الكائنة، والحق إن كلمة «أريد» يجب ألا ينطق بها أحد بعد! هكذا قال التنين، فأية حاجة لكم أيها الإخوة بأسد العقل؟ أفما يكفيكم الحيوان القوي الجليل الممنَّع بامتناعه؟، من العبث أن تطمحوا إلى خلق سنن جديدة، إن الأسد نفسه ليعجز عن هذا الخلق، إذ لا يسعه إلا أن يستعد بتحرير نفسه لخلق جديد، لأن قوته لن تتجاوز هذا الحد.

أيها الإخوة، إن العمل الذي تحتاجون فيه إلى الأسد إنما هو تحرير أنفسكم والوقوف ببطولة الامتناع في وجه كل شيء حتى في وجه الواجب، ذلك أيها

الإخوة هو العمل الذي تحتاجون إلى الأسد للقيام به، إن الاستيلاء على حق إيجاد سنن جديدة يقضي بالجهاد العنيف على العقل الخشوع الصبور، ولا ريب أن في هذا الجهاد قسوة لا يتصف بها إلا الحيوانات المفترسة، لقد كان العقل فيما مضى يتعشق كلمة «الواجب» كأنها أقدس حق له، وقد أصبح عليه الآن أن يجد حتى في هذا الحق المفدَّى ما يحدو به إلى التعسف والتوهم، ليتمكن بإرهاق عشقه أن يستولي على حريته وليس غير الأسد من يقوم بهذا الجهاد، ولكن ما هو العمل الذي يقدر عليه الطفل بعد أن عجز الأسد عنه؟ ولماذا يجب أن يتحول الأسد المكتسح إلى طفل؟ ذلك لأن الطفل طهر ونيسان؛ لأنه تجديد ولعب وعجلة تدور على ذاتها فهو حركة البداية وعقيدة مقدسة، أجل أيها الإخوة إن العمل الإلهي للإبداع يستلزم عقيدة مقدسة، فإن العقل يطلب الآن إرادته، ومن فقد الدنيا يريد الآن أن يجد دنياه، لقد ذكرت لكم تحولات العقل الثلاثة فأوضحت كيف استحال العقل جملًا وكيف استحال أسدًا وكيف استحال أخيرًا إلى طفل، هكذا قال زاراشت، وكان في ذلك الحين مقيمًا في مدينة اسمها البقرة العديدة الألوان [١]

(١) انظر: هكذا تكلم زرداشت نيتشه : ترجمة : فليكس فارس، ص ١٧.

تعقيب:

لقد اتضح من خلال عرض مفهوم الإنسان عند " نيتشه "أنه يقوم على نزعة فردية لا أكون مبالغًا إن قلت إنها متطرفة في جميع مراحلها وأطوارها، خاصة وأنه في طور الإنسان الأول – الإنسان العادي – قد تأثر بنظرية " دارون " التي ترى أن الإنسان الأول أصله قرد، ولم يتفرع عن أي وجود إنساني، أو جنس بشري، وهذا بلا شك يهدم الحقيقة المؤكدة التي أثبتتها جميع الأديان، والتي تقول أن أصل الجنس البشري يرجع إلى «آدم» (عليه السلام) وأن وجود آدم يرجع إلى الله تعالى الذي خلق جميع الموجودات .

هذا بالإضافة أيضًا إلى أنه قد صرح بأن الإنسان في طوره الأول الذى سبق ذكره، وفي طوره الثاني – إنسان العدمية السالبة – كان خلوًا من أي فكرة، أو بمعنى أوضح كان غير مكتمل العقل والفكر، في حين أن الشرع والأديان كلها قد أثبتت أن الإنسان منذ أن وجد على ظهر الأرض وكان في تطور وإبداع، خاصة وأن الخالق جل وعلا وهبه الأدوات الفكرية التى تؤهله لذلك، والتي أشار إليها إليها القرآن الكريم في قوله تعالى:**{ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}** [1] فالعلم والمعرفة هبة من الله (عز وجل) للبشرية منذ أن وجدت، كي تستطيع أن تتكيف مع الوجود المادي، أو العالم الطبيعي، وكي تسعد في الدنيا والآخرة .

هذا ومما يدعو للتعجب أيضاً أن " نيتشه "قد صرح بأن البشرية منذ أن تطورت، وحتى اللحظة الراهنة، أو الوقت الحالي الذي يعيش فيه، لم تنجب

(١) سورة البقرة : من الآية (٤١) .

إنسانًا جديرًا بالثقة، أو بأن يطلق عليه اسم – الإنسان المتفوق – وهو النوع الثالث من التطور الإنساني الذي أقره " نيتشه "والذي يعد من وجهة نظره هو التطور الطبيعي للجنس البشري مع أنه لم يوجد بعد في نفس الوقت أيضاً، وهذا بلا شك يقضي على حقيقة أن الخالق عز وجل أرسل رسلاً معصومين إلى البشر يرشدونهم إلى الطريق الصواب، مع امتيازهم في نفس الوقت على سائر البشرية بما فضلهم به عليهم من قوى عقلية وجسمية وروحية، هذا فضلاً عن عصمتهم من الخطأ .

كما أن نفي فكرة وجود إنسان متفوق ـ كما يزعم نيتشه ـ يتعارض أيضاً مع ما ثبت من خلال التاريخ البشري الذي سبق " نيتشه "، من وجود مصلحين، ومفكرين وعلماء غيروا مجرى التاريخ إيجابًا، وأضافوا عليه ما هو جدير بالفخر والإعزاز ليس في مجال الدين فقط، بل في مجال السياسة، والاقتصاد، والعلوم الطبيعية التجريبية، وغيرها، مما يدعوا إلى القول بأن نزعة " نيتشه "الفردية تنكر المعلوم، والمعقول، والمحسوس، وتغاير الواقع وتحاول أن تنفيه.

ومما يؤخذ على " نيتشه "أيضًا أنه نقد سقراط الذي تذرع بالفضيلة والعلم، فى مقابل الفساد الجهل، وحاول أن يقرر حقيقتها الكلية، وعدم نسبيتها كما زعم السوفسطائيون، وكان جل اعتراض " نيتشه " يقوم على أنه لا وجود للحياة فى الحقيقة، ولا وجود لثبات حقيقي يذكر فى الوجود، وأن ما نعيشه هو مجرد عدم، ولا يستحق التقدير، أو الاعتناء، لأن الحياة الجديرة بالاهتمام والذكر من وجهة نظره هي التي يقررها الفرد لصالحه، وبناءً على مطالبه، وليس التي يقررها المجموع أو المجتمع لأجل الكل، ومن هنا كانت فلسفة سقراط التي

تدعوا إلى الإصلاح الاجتماعي تتنافى مع نزعة " نيتشه "الفردية، ويرى أن دعوة سقراط هي السبب في انتكاس البشرية منذ أن وجدت وحتى اللحظة الراهنة التي يعيشها، لأنه قدم المجموع على الفرد، ولم يقدم مصلحة الفرد على المجموع.

وإذا انتقلنا من خرافة الطور الثالث من أطوار الإنسان عند " نيتشه "– الإنسان المتفوق – إلى جنون الطور الرابع، والذي يتمثل في « الإنسان الأعلى » نجد أننا نعيش في قصة خيالية، هذه القصة تسرد أوصاف إنسانٍ ليس من جنس البشرية، وليس من تركيبات الطبيعة البشرية التى أبدعها المولى عز وجل، فهذا الإنسان الأعلى أشبه بثورة على كل ما هو قائم في الحياة، لأن الحياة من وجهة نظر " نيتشه "وما تحتويه عبس وخوار، وتحتاج إلى إعادة صياغة، وتركيب من جديد، وهذا التصنيف والتركيب سوف يكون على يد « الإنسان الأعلى، أو السوبر مان» الذي لا حدود لإمكانياته أو قدراته، هذا علاوة على أنه هو المهيمن والمسيطر على قطيع البشر، وهو الذي يسوقه وعلى الجميع أن يخضع له كأنه إله، أو خالق

يقول أحد الباحثين : لقد تجلى المثل الأعلى عند " نيتشه "في تأكيده للذات، والسيطرة على الآخرين لابتغاء السعادة الفردية، بل ابتغاء التوصل إلى الإنسان الأعلى – السوبرمان – وإذا كان التطور البيولوجي قد تأدى إلى الإنسان الحاضر، فليمض بنا التطور حتى نتوصل إلى السوبر مان، الذي يتمكن بإرادته من أن يسيطر على الآخرين ويخضعهم لنفوذه، وبهذا المفهوم كان " نيتشه "من رواد الفلسفة الوجودية المعاصرة، وسبق إلى التعبير عن خصائصها

حين هاجم القيم المعروفة التي فرضتها سلطة عليا إنسانية كانت أو إلهية، وأرجع القيم كلها إلى الإنسان فأكد الفردية، ووطد الحرية المطلقة، وناصر الذاتية وحقر من موضوعية البحث عن الحقيقة، وربط بين الفلسفة والحياة، فأصبحت الحقيقة إنسانية نسبية متغيرة، وليست ميتافيزيقية؛ لأنه لا مكان للتعقل عند " نيتشه "[١].

والعجيب في فكرة «الإنسان الأعلى» أو «السوبرمان» عند " نيتشه "أن الطريق إليها هو النظام الأرستقراطي القسري، أما الديموقراطية التي هي تقوم على حكم الأكثرية، والتعدد، فهي سخافة ويجب استئصالها، والقضاء عليها قبل فوات الفرصة، وتأخر الوقت، وأول خطوة لتحقيق ذلك هي تحطيم الأديان، لأن الأديان تنتصر للديموقراطية، وترسخ لمبدأ المساواة بين الناس [٢].

(١) انظر: فردريك نيتشه نبي فلسفة القوة : كامل محمد محمد عويضة ص ٩١ وما بعدها .

(٢) انظر: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي : ول ديورانت، ترجمة : د. فتح الله محمد المشعشع ص ٥٣٦، مكتبة المعارف، بيروت، ط. سادسة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

المبحث الثالث

النزعة الفردية في فكرة وجود الإله وسيادة الدين عند نيتشه

المطلب الأول : النزعة الفردية في فكرة وجود الإله عند نيتشه

بداية تنبغى الإشارة إلى إن نزعة " نيتشه " الفردية في مفهوم الإله تترتب بالضرورة على نزعته في الإنسان الأعلى « السوبرمان»، لأن " نيتشه " في اللحظة التي أعلن فيها عن فكرة « الإنسان الأعلى» الذي يسود الجميع، وعلى الجميع أن يخضع له، أعلن أيضًا وفى نفس الوقت فكرة « موت الإله» .

يقول " نيتشه ": « لقد مات الإله ونحن الذي قتلناه، وهو عمل جد عظيم، فيجب أن نكون نحن الآلهة بعد هذا العمل الذى ليس هناك أعظم منه، وأن من يولد بعدنا يدخل في تأريخ لا مثيل له»، ويقول أيضاً: « إن الإله نفسه لن يستطيع البقاء بدون الناس العقلاء» (١).

والغريب أن " نيتشه "عندما سئل لماذا مات الإله؟ أجاب بعدة أقوال منها: إن الإله قد مات من شفقته على الأشرار، فإنهم لا يطيقون شاهدًا من هذا النوع، وبإعلان " نيتشه " هذه الفكرة المضطربة، والتى لا تنطوى على أي مبرر معقول، أو مفهوم، يكون قد أعلن فكرته، وموقفه الإلحادي مباشرة(٢).

والجدير بالذكر أن " نيتشه " لم يكن هو المبتكر لفكرة « موت الإله » كما لم يكن هو أول من استعملها، وذلك لأن اللفظ ـ موت الإله ـ كان موجوداً في

---

(١) انظر: العلم المرح: فردريك نيتشه: ترجمة وتقديم: حسان بورقية، محمد الناجي، ص١٣٥، ط. أفريقيا الشرق، ط. أولى. ١٩٩٣م.

(٢) انظر : الصراع في الوجود : بولس سلامة، ص ١٨٧.

الثقافة الألمانية منذ القرن السابع عشر، ثم تطور حتى وصل إلى " نيتشه "، وقد كانت أول مرة طرح فيها " نيتشه " فكرة موت الإله في كتابه « العلم المرح» الذي نشر عام ١٨٨٢م، والذى وصفه بأنه « أكثر كتبه شخصية»، وقد تأثر " نيتشه " في هذه الفكرة بالثورة التي أحدثها عصر التنوير(١٦٨٥ـ١٨١٥م) في أوروبا، حين طرحت فكرة: أن الكون محكوم بقوانين الفيزياء، وليس من خلال قوة الإله، فقتل الفلاسفة الإله من خلال رؤيتهم الواسعة للكون، والنظريات العلمية الحديثة، وتصاعد العلمانية في أوروبا، وعليه فقد رأى " نيتشه " أن أوروبا لا تحتاج إلهًا ليكون مصدرًا لأي شيء سواءٌ أكان في جانب المعرفة، أم الأخلاق أم القيمة، أم حتى الإيجاب، وأن الفلاسفة والعلماء سيؤدون هذا الدور للبشرية (١).

يقول جيمس كولنز : لقد اطلع " نيتشه " في شبابه على كثير من المؤلفات، ومنها مؤلفات « آرثر شوبنهور» التي شجعته على فكرة موت الإله، والتي أدت به إلى الإلحاد، وكان من رأى هذا الأخير – شوبنهور – أن مبدأ السبب الكافي الذي تستند إليه الأدلة العقلية على وجود الله لا ينطبق انطباقًا سليمًا إلا على أنواع معينة من الأسباب، ولا يسري إلا على الموضوعات الحسية الجزئية، داخل سلسلة الظواهر اللامتناهية، وانتهى " شوبنهور " في عدد من المواضع إلى أن الإستخدام العقلي لمبدأ السبب الكافي من أجل إثبات وجود الله أو الروح المطلقة، لم يكن له ما يبرره، فمن المفروض أن الله كائن

(١) انظر : الفلسفة الألمانية: مقدمة قصيرة جدًا : اندرو بووي، ترجمة : محمد عبد الرحمن سلامة، مراجعة هبة عبد المولى، ص ٧٢ وما بعدها، مؤسسة هنداوي، ط أولى ٢٠١٥م.

حسي، وأنه السبب المطلق أو العام للأشياء على حين أن مبدأ السبب الكافي لا يسري إلا على الموضوعات الحسية، وأن أساسه الحقيقي لا يقوم إلا على أنواع معينة من الأسباب، وفضلاً عن ذلك فإننا لا نستطيع أن نتساءل عن السبب الكافي للعالم مأخوذًا ككل، أو عن سبب أول لصيرورة سلسلة الظواهر اللامتناهية، لأن كل صيغة محددة لمثل هذه الأسئلة تتجاوز قدرتنا المحدودة(١).

هذا ويترتب على قول " نيتشه " بموت الإله والذي يترتب بالضرورة على التبشير بظهور الإنسان الأعلى، أن المثالية المتعالية على نهايتها، وهو في الوقت ذاته نسف للنسيج المتعالي، وتثبيت لفكرة العدمية في الخطاب الغربي، وفكر " نيتشه " بدوره يُنظر إليه ضمن علامة العدمية، وهو هنا اسم لتيار تاريخي معروف عبر " نيتشه " الذي يُلخص بعدما هيمن على القرون السابقة في جملة «مات الإله» (٢).

ومن خلال ما سبق يمكن القول : إنه على الرغم من أن " نيتشه " قد استند في فكرة " موت الإله "، على نزعتة الفردية الإلحادية، وكان هو أشهر من عُرف بها في الفكر المعاصر، إلا أن هذه الفكرة لم تكن من ابتكاره، أو من

---

(١) انظر: الله في الفلسفة الحديثة : جيمس كولينز : ترجمة : فؤاد كامل، ص ٣٦١، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٧٣م، نحن من قتلنا الإله: هكذا تكلم نيتشه: موقع : منشور ٢٠١٨/١٠/٣١م.

(٢) انظر : المساءلة النقدية لمفهوم الميتافيزيقا في فضاء اللغة عند مارتن هايدجر: بشير ريوح، ص ٣٣٥: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط، ٢٠٢٠م.

بنات أفكاره الخالصة، بل كانت موجودة وسائدة في الفكر الحديث والمعاصر، إلا أن " نيتشه " كان على رأس من صدع بها بقوة.

يقول أحد الباحثين تحت مفهوم الإلحاد الجذري الأيديولوجي: لقد حددت الثقافة الغربية الحديثة والمعاصرة الإلحاد على أنه الرفض القاطع والتام لوجود الله، وقد كان الفيلسوف الألماني « فيورباخ » أول من أسس لهذه المنظومة الفكرية الإلحادية التى تقول: إن فكرة الله ليست سوى إسقاط – في عالم مثالي – لقيم الصلاح والحقيقة والعدالة، التي يبحث عنها الإنسان من دون كلل، ومن دون أن يجدها في حياته، وإذًا لاحتمال هذه الكينونة البائسة انسحق الإنسان أمام إله من صنع عقله الخاص، أما عندما جاء من بعد " ماركس "، و" نيتشه "، و" سيجموند فرويد"، الذين عُرفوا بأنهم " أسياد الشك " لإكمال المسيرة الإلحادية في الخط عينه، وانطلاقًا من محاور مختلفة، كتب هؤلاء الفلاسفة الثلاثة عن ضرورة تحرير الإنسان من الانسحاق الوجودي المخيف، وأكدوا على فكرة أنه: لكي يصبح الإنسان إنسانًا يجب عليه أن يكون مستقلاً من كل جرى وراء إعانات إلهية وهمية، لمواجهة الواقع، وبناء عالم لكل إنسان، وللإنسان فقط، وفي عالم عالموي وبمواجهة إشكالية البحث عن معنى الحياة، وضع كثيرون مقاييس عملية مرتكزة على المادة، ومستنتجة من المادة لوجود الله وحضوره، فمثلاً أعلن البعض أن الإنسان هو ثمرة الصدفة، والضرورة فقط لا غير، ومن هنا نستنبط إعلانًا صريحًا لإلحاد قاسٍ[1].

---

(١) انظر : قال نيتشه : «مات الله» قلت: حقا! إنما قام» : طوني هاشم، ص ٤، المكتبة البولسية، لبنان، ٢٠٠٧م.

هذا ويقوي " نيتشه " نزعته الفردية الإلحادية المتطرفة في قوله: « بموت الإله» عندما يصرح بأنه ليس هناك أكثر دلالة على الضعف الإنساني من الإيمان بالعالم الآخر، ذلك العالم المفارق الذي يعيش فيه الإنسان معزولاً، لأنه إيمان لا يعني شعورًا بالقوة بل بالضعف، ولا يؤدي إلى أي نوع من السعادة بل مدى حاجة الإنسان لمساعدة من خلف الكواليس لكي يستمر في تبرير الوجود، إن البشر يستبدلون العالم المختلف بالعالم الفعلي، ويفسرون الوقائع، وفقًا لتعاليم قديمة عن هذا العالم المفارق [١]، هذا والجدير بالذكر أن البعض قد ذهب إلى أن المقصود « بموت الإله» عند " نيتشه " موت الحضارة الغربية، أو موت الديانة الغربية التي كانت سائدة في وقته وانتهاء دورها، ومن هنا فإن " نيتشه " لا ينكر الإله الخالق، ولا ينكر وجوده، ولا تأثيره في الكون، وعليه فإن ما قام به " نيتشه " كان جزءًا من ثورة ضد الفلسفة الإنسانية الغربية، وكان الهدف منه لفت الأنظار إلى العلاقة الفاسدة بين الناس والإله، والتي جعلت من هذا الإله خادمًا للناس، ونزعت عنه مكانته[٢].

ويمكن القول إن أصحاب التفسير السابق لمفهوم « موت الإله» عند " نيتشه " يريدون أن يُخرجوا " نيتشه " من دائرة الإلحاد التي سقط فيها، ومن فكرة إنكار الإله المدبر لهذا العالم، ولكن هذا التفسير ليس صحيحًا، لأن أقوال

---

(١) انظر: ماركس ضد نيتشه، الطريق إلى ما بعد الحداثة: د.محمد دوير، ص ١٧١، ط، ٢٠٢٠م.

(٢) انظر : ماركس ضد نيتشه : د. محمد دوير، ص ١٧٢، الرغبة في التحكم بالإله، نيتشه والتاريخ : د. ياسين أقطاي، ٢٠٢٠/١٢/٢٥م.

" نيتشه " وفلسفته في جميع أجزائها تتضح بالإلحاد، خاصة وأنه لم يقتصر على فكرة " موت الإله " فقط، بل ثار أيضًا على فكرة الدين بصفة عامة، وحاول أن يقوضها، مما يؤكد نزعته الإلحادية .

يقول أحد الباحثين: لقد تعلم " نيتشه " من استاذه «شونبهاور» أنه ليس هناك عناية مشرفة على شؤون الدنيا، وليست هناك قوانين مكشوفة للبصائر في ضمان قوة خارجة عن الإنسان تحسن إلى من اتبعها، وتعاقب من خرج عليها، ونحن لأنفسنا الهداة والمرشدون، وواضعوا قيم الأشياء، فهو يقول إن الحق للقوة، لأن القوة في نظره يجب أن تسود وتعلو(١).

(١) انظر : فردريك نيتشه، نبي فيلسوف القوة: كامل محمد محمد عويضة، ص ٦٢.

المطلب الثاني : النزعة الفردية في مفهوم الدين عند نيتشه

إذا كان " نيتشه " قد قرر « موت الإله » وزواله من الوجود، فمن الطبيعي أن يقوض فكرة الدين، لأنها ترتبط بوجود الإله ارتباطًا وثيقًا، وبناءً عليه فقد ذهب إلى أن الدين ضرب من الوهم الزائف أو الخيال السقيم، وذلك لأنه كالميتافيزيقي يبعدنا عن هذا العالم، والاهتمام بشؤونه وشواغله، بل إنه يعتبر عالمنا كله مجرد مظاهر وقشور لا تساوي شيئًا بالنسبة إلى العالم الآخر الذي يدعيه(١).

يقول أحد الباجثين: لقد انتقد " نيتشه " الدين، وأوصل رده فيه إلى قمتين :

الأولى : وتتمثل في إعادة تقويم القيم، أما الثانية : فتتعلق برفض خط التطور التاريخي الذي بدأه الدين، حيث يعود إلى رؤية التاريخ كله، بما في ذلك نشوء السُدُم، والنجوم، والكواكب، كنشوء واندثار وعودة متكررة لا تشكل الحياة الإنسانية فيها إلا لحظة واحدة، وهو بذلك يرفض فكرة أن هناك ثمة تقدمًا في التاريخ، وأن ما هو قائم أفضل من قبله، مثلما أن المستقبل سوف يكون أفضل، ويرفض " نيتشه " أيضًا التاريخ المسيحي المقدس، من مركزية الخلق حتى الخلاص(٢).

هذا ويرى " نيتشه " أيضاً أن السبب في نشأة الأديان، وخاصة الديانة المسيحية يرجع إلى عدة أشياء منها :

---

(١) انظر: أعلام الفلسفة الحديثة: د. رفقي زاهر، ص ١٤٢.

(٢) انظر: الدين والعلمانية في سياق تاريخي: عزمي بشارة، الجزء الثاني، المجلد الأول: العلمانية والعلمنة: الصيرورة الفكرية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤م.

١ – الشعور بالخطيئة، ويرى أن المسيح لو كان قد تخلص من مشاعره الشخصية ما كان مسيحًا على الإطلاق.

٢ – بلاغة الأنبياء وقدرتهم الفائقة على المحاورة والإقناع، حيث إنها هي المرجع الرئيسي في انتشار الديانات؟، ورسوخها في نفوس الناس، رغم كذب هؤلاء الأنبياء فيما يزعمون .

٣ – إن الإنسان يريد أن يضمن قبول آرائه بنسبتها إلى مصدر مقدس، حتى ولو كان ذلك على حساب استقلاله الشخصي(١).

هذا بالإضافة أيضًا إلى أن " نيتشه " يرى أن الدين يظهر نتيجة للخوف، والحاجة التي يتحلى بها الإنسان، وهذا ما يجعله دائمًا يوجد، ويظهر لدى الطبقات الدنيا من المجتمع، أي الضعفاء والمتخلفون في المجتمع، وما يصطلح تسميتهم بالعبيد، ويؤكد ذلك بأن أغلب الديانات لم تظهر في الطبقات المركزية الغربية بل ظهرت وسط هذه الطبقات الضعيفة، وطبقات العبيد، كما أنه يرى أن الدين لا يحتوي على حقيقة أبدًا، لا بشكل مباشر، أو غير مباشر، لا على ركن من أركانه، ولا على شكل حكمة، لأن الدين إنما يولد من الخوف، ومن الحاجة، وقد أنسل إلى داخل الوجود من خلال سبل العقل التائه(٢).

---

(١) انظر : أعلام الفلسفة الحديثة: رفقي زاهر، ص ١٤٢، ١٤٣ .

(٢) انظر : نقد المركزيات في فلسفة نيتشه : ريهام محمد ظاهر، علي عبود المحمداوي، ص ٦١٨، مجلة الآداب، جامعة بغداد، كلية الآداب، العدد ١٣٧، ملحق (٢) شهر حزيران – يوليو ١٤٤٢هـ – ٢٠٢١م.

وبهذا يكون " نيتشه " لا يقر بفكرة الإله، ولا بفكرة الدين التي تبرهن على وجوده وتثبته من الأساس، مما يؤكد نزعته الفردية الإلحادية، وخروجه من عباءة الدين.

يقول فؤاد زكريا: لم يكن " نيتشه " يعترف بعقيدة من العقائد الشائعة، لا صراحةً ولا ضمنًا. وكل محاولة لكشف نوع من التأثر الخفي بالدين في تفكيره، كتلك التي قام بها " ياسبرز " في كتابه عن « نيتشه والمسيحية» هي محاولة باطلة من أساسها، وليس لنا أن نتقيد بما يقوله البعض من وجود روح دينية كامنة لدى " نيتشه "، مبعثها ذلك الأصل الديني القديم الذي ترجع إليه أسرته من طرفيها، فكل تأثير لهذا الأصل كان تأثيرًا سلبيًّا، بمعنى أنه مكَّنه من أن يتعمق فى فهم الروح الدينية ليوجِّه إليها أعنف النقد فيما بعد، فآراؤه في هذا المجال صريحة كل الصراحة، ومن أكبر الأخطاء أن نشبِّه نقده الديني بنقد آخر مبعثه الرغبة في العلو بالعقيدة الشائعة وتنقيتها من الشوائب، فعند البعض الإيمان هو القوة المحركة للذهن الناقد، اما في حالة " نيتشه " فلا مجال للتوفيق بين ذهنه وبين الروح الدينية على الإطلاق، ونقْد " نيتشه "ينصبُّ أوَّلًا على فكرة العقيدة بوجه عام، فالروح الدينية في رأيه تفتقر إلى كل فهم للقوانين الطبيعية، وما هي إلا امتداد للتفسير البدائي، الذي كان يفهم كل شيء من خلال السحر والخرافة [1] .

هذا ولم يكتف " نيتشه " بشن الحملات النقدية القوة على الدين، وعلى الأفكار الدينية فقط، بل كان يعد الروح الدينية ظاهرة منحرفة، ودعا إلى

(١) انظر : نيتشه : فؤاد زكريا، ص ١٣١.

استبدال النظرة الدينية بالنظرة الطبيعية، وعمل على إعادة الثقة التامة، والكاملة إلى الإنسان بذاته حتى لا يحتاج إلى الوحي والدين؛ لأن الدين بلا شك عقبة تحول بينه وبين بناء الثقة في ذاته، كما أنه لا جدوى من وجود قوة هائلة تفوق قوة، وقدرة البشر، ولا داعي إلى وجود أي مبرر من وجود الروح الخيالية التي أملاها الدين والوحي، وذلك لأن الإنسان مستغني بذاته، وهو أرفع الموجودات قدرًا[١] .

وبهذا يكون " نيتشه " قد قوض فكرة الدين كما قوض فكرة الإله، وأقام على هذه الأنقاض فكرة الإنسان الأعلى الذي يُعد من وجهة نظره الإله الأوحد.

(١) انظر: نيتشه: د. مصطفى غالب، ص ٦٥، ٦٦، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.

✍ **تعقيب** :

لقد اتضح من خلال ما سبق أن نزعة " نيتشه " الفردية التي تمثلت في تفكيك الجانب الإلهي، والجانب الديني، كانت نزعة إلحادية بحتة، ولا تعطي أي أهمية أو قيمة للوجود الإلهي، أو الديني، في مقابل الوجود الإنساني، أو الوجود الطبيعي، فـ" نيتشه " لا يعترف بإله يدبر الكون ويدبر شؤونه، ولا يعترف بالجوانب الميتافيزيقية المفارقة لعالم المادة، ولا بوحي سماوي ينزل من السماء إلى الأرض لتبليغ الشرائع والعبادات، ومن ثم لا يعترف بالنبوة، ولا بالرسالة، وإنما يؤمن بقدرة الإنسان المتعالي – السوبرمان – الذي يقود العالم بجميع أجزائه ويهيمن عليه، مع عدم اعترافه في نفس الوقت بماهية هذا السوبرمان هل هو نبي أو رسول، أو مصلح، أو غير ذلك، ولكن كل ما هنالك هو أن " نيتشه " قد أنكر الإله، والأديان، كي يفسح المجال، لهذا السوبرمان .

وإنكار الإله أو موته يعني أن الحياة الإنسانية لم تعد لها أية جذور أو خلفية ترتكز عليها فهي حرمان من الأمان الإلهي، الذي يُشرع ويقنن لحفظ الكون والبشر، ونزعة " نيتشه " الفردية الإلحادية في قوله : إن مفهوم الله هو أكبر اعتراض ضد الوجود، هذه المقولة التي تبدو محررة أسر الدين، تبقى في انسجام مع توجيهه المضطرب الغير سوي، لأن هذه المقولة عدوة للإنسانية، وتتملص من واجبات الإنسان تجاه أمثاله، وتنكر وجود أي معيار يفرق بين العمل الخيرّ والشرير، وبين الفعل الصالح والطالح[1] .

---

(١) انظر : محاولة لقراءة فريدريك نيتشه، صفاء عبد السلام على جعفر: ص ٤٥٣، وما بعدها: دار المعرفة الجامعية ١٩٩٩م، نقد المركزيات في فلسفة نيتشه: ريام محمد ظاهر، ص ٦٢١.

يقول جيمس كولنز: من قلم فردريك " نيتشه " جاءت دفعة قوية نحو استحسان الإلحاد بوصفه أنبل عقيدة إنسانية، وكان " نيتشه " أشبه بالقناة المصطخبة المياه التي نقلت إلى عصرنا النتائج الإلحادية لتيارات جديدة في علم القرن التاسع عشر وثقافته، فلقد أقنع تفسير الجناح الملحد من الوجودية بأن هذا العالم يخلو من كل إله، كما دفع الوجود بين الآخرين إلى التزام أشد أنواع الحذر – على أقل تقدير – فى أحكامهم الفلسفية عن الله، وامتد تأثيره في هذه المسألة إلى ما وراء الأوساط الفلسفية المحترفة، وتأثيره يشبه بالضبط التأثير الذي أحدثه هجوم " ماركس " على الله، وعلى الدين[١] .

ومن هنا يمكن القول إن النزعة الإلحادية التي انطلقت وبقوة من كلام " نيتشه " وكتاباته لم تكن حادثة، أو مبتكرة، في الفكر الغربي الحديث والمعاصر، بل كانت من خصائص وأسس الفكر الغربي الحديث والمعاصر، ولكن الفضل يرجع إلى " نيتشه " في أنه صاغها في أسلوب أدبي رنان، وأطلق لها العنان في الفكر الغربي، بدون مواراة، أو خجل، أو وازع، مع البرهنة عليها في نفس الوقت.

يقول جيمس كولنز: ويصر " نيتشه "على أن الرسالة الجوهرية للإلحاد الحديث ليست الاستمالة النظرية لإثبات وجود الله، كما أنها ليست تقرير الواقع الحضاري الفعلي بأن الاعتقاد في الله لم يكن منتشرًا على نطاق واسع،

(١) الله في الفلسفة الحديثة: جيمس كولينر، ترجمة : فؤاد كامل، ص ٣٦١ .

فالجوهر الحقيقي لنزعة " نيتشه " المعادية للألوهية هو أن أحدًا لم يعد يعتقد في الله، لأن الله لم يعد قابلاً لأن يعتقد فيه أحد، ولم يعد جديرًا بتصديق الإنسان وتأييده(١) .

وعليه فالنزعة الإلحادية الصريحة، والغير معقولة عند " نيتشه " لا يمكن أن يُلتمس لها أي مبرر أو تأويل، كما يدعي البعض، من أن " نيتشه " لم يكن ينكر الإله والدين حقيقة، أو يقول بموت الإله صراحة بل كان يهدف إلى الثورة على الأفكار البائدة في عصره، وفي العصور السابقة، وأنه قصد بموت الإله موت الحضارة، وموت الفكر الإنساني، وأن العالم في حاجة إلى فكر جديد.

يقول د. زكريا إبراهيم : لم يكن " نيتشه " يعترف بعقيدة من العقائد الشائعة، لا صراحة ولا ضمنًا، وكل محاولة لكشف نوع من التأثر الخفي بالدين في تفكيره كما يذكر البعض – هي محاولة باطلة من أساسها، وليس لنا أن نتقيد بما يقوله البعض من وجود روح دينية كامنة لدى " نيتشه "، لأن آراؤه في هذا المجال صريحة كل الصراحة، خاصة، وأن " نيتشه " يفهم العقلية الدينية على أنها نقيض للعقلية العلمية، فنقد " نيتشه " لفكرة الألوهية لا يدع مجالاً للشك في أنه قد تخلى تمامًا عن هذه الفكرة ولم يكن لها في ذهنه أي دور تؤديه، هذا علاوة على أن نقده كان يتحذ في كثير من الأحيان طابع السخرية فيقول مثلاً: إن وجود الله ذاته كان يغدو مستحيلاً لو لم يكن يوجد أناس حكماء، هذا ما قاله « لوثر» وله الحق فيما قال، ولكن إن وجود الله كان يغدوا أكثر استحالة لو لم يكن يوجد أناس بلهاء، وهذا ما لم يقله صاحبنا « لوثر»، وفي أحيان أخرى يتخذ هذا النقد طابع الثورة الساخطة فيتساءل « أيكون إلهًا خيرًا ذلك الذي يعلم كل شيء، ويقدر على كل شيء، ولا يعبأ مع ذلك بأن تكون مقاصده

(١) انظر : المرجع السابق، ص ٣٠٧.

مفهومه لمخلوقاته ألا يكون إلهًا شريرًا ذلك الذي يملك الحقيقة، ويرى ذلك العذاب الأليم الذي تعانيه البشرية من أجل الوصول إليها»[١] .

كل هذه الانتقادات والتهكمات والسخرية التي وجهها " نيتشه " لمفهوم الإله، ووجوده، وتأثيره في العالم إيجابًا وسلبًا، تؤكد صراحة أن " نيتشه " كان لا يعترف بوجود إله عادل ومنظم لهذا الكون، هذا بالإضافة إلى أنه لم يعره أي اهتمام يذكر، هذا بالإضافة أيضاً إلى أن تهكم " نيتشه "على الدين والإله، يؤكد نزعته الفردية الإلحادية المتطرفة، وهذا ليس غريبًا أن يصدر منه لأن " نيتشه " لم يكن سويًا فى حقيقة نفسه، أو عقله، حيث مر بمرحلة اعتلال جسدي أثرت على عقله وفكره، وأفقدته المسلمات الفطرية التي يمتلكها أقل الناس فكرًا وإدراكًا، والتي تشير إلى أن هذا الكون لم يخلق عبثًا، وأنه خُلق عن إله حكيم ومدبر .

يقول ول ديورانت : إن تفكير " نيتشه " الشديد قد استهلك حياته قبل أوانها، كما أدت المعركة التي خاضها ضد عصره إلى اختلال توازن عقله، لقد أعلن حربًا شعواء في أواخر أيام إنتاجه على الأشخاص، والآراء والأنبياء من " فجنر" إلى " المسيح " وغيرهم، وبعد انهيار عقله بدت العصبية جلية عنده حتى في ضحكه، ولا شيء يصور لنا مدى ما وصلت إليه حالته أكثر من قوله: « ربما أعلم أكثر من غيري السبب في أن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يضحك، لأنه وحده الذي يتألم أشد الألم الذي اجبره على اختراع الضحك، لقد أثر مرضه وضعف بصره الذي أوشك أن يقترب به من العمى على انهيار عقله. [٢]

---

(١) نيتشه : فؤاد زكريا ص ١٣١ .

(٢) انظر : قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي : ول ديورانت، ص ٥٥٢.

المبحث الرابع
النزعة الفردية في الجانب الأخلاقي وإرادة القوة عند نيتشه

المطلب الأول: النزعة الفردية في الجانب الأخلاقي عند نيتشه

تعد الاكسيولوجيا – القيم – هي المبحث الثالث من مباحث الفلسفة، والذي ينطوي بدوره على معنى: الحق، والخير، والجمال، والحق يقصد به علم المنطق، والخير يقصد به الجوانب الأخلاقية، أما الجمال فيقصد به فلسفة الجمال والإبداع، والهام أن الجانب الأخلاقي عند " نيتشه " قد نال جانبًا كبيرًا من الاهتمام والبحث، ووضع فيه مجموعة كبيرة من المؤلفات ومنها: " فى جينالوجيا الأخلاق " " أصل الأخلاق وفصلها " " هكذا تكلم زرادشت" " ما وراء الخير والشر " هذا بالإضافة أيضاً إلى أنه قد تناول الجوانب الأخلاقية عند مناقشته لمفهوم الإنسان، ومفهوم الإله، والدين.

والهام أنه كما برزت نزعة " نيتشه " الفردية المتطرفة عند مناقشته لمفهوم الإنسان، والإله، والدين فإنها قد ظهرت أيضاً، وبصورة أكبر في مناقشته للجانب الأخلاقي فى المجتمعات والدول، حيث ثار على جميع الجوانب الأخلاقية السائدة، وحاول أن ينقدها ويثبت عدم صلاحيتها، أو موافقتها.

فذهب " نيتشه " إلى أن الظواهر الأخلاقية لا وجود لها في ذاتها، وأن كل ما هنالك أنه تفسير أخلاقي للظواهر فحسب، وهذا التفسير نفسه صادر عن ينبوع خارج عن الأخلاق، فالإنسانية تعيش في نظر " نيتشه "على عبادة

الأصنام، أصنام في الأخلاق، وأصنام في السياسة، وأصنام في الفلسفة، وهذه الآلهة الباطلة هي التي اخترعتها ثم عبدتها، فنتج عنها أن ضلت السبيل، وأخذت تتخبط وتتدافع حتى انقضت على نهايتها(١).

يقول " نيتشه ": بفضل ريبة خاصة بي، أُقر بها كرهًا لا طوعًا ـ إذ هي تتعلق بالأخلاق، بكل ما احتفى به على الأرض إلى حد الآن بوصفه أخلاقًا – ريبة دبت في حياتي على نحو مبكر، وبشكل طارئ ولا مرد له في تناقض مع البيئة، والقدوة، والمنشأ، بحيث أكاد أملك الحق في أن اسميها مبدئي القبلي، ،كان لا بد أن يتوقف ظني وفضولي في الوقت المناسب عن هذا السؤال: أي أصل هو في الحقيقة أصل الخير والشر لدينا؟ ..... إلى أن يقول: أما عن حل المشكل الذي أرتأيته عندئذٍ، فقد حفظت هيبة الرب، كما يجب، وجعلته للشر بمثابة الأب، هذا بالتحديد ما أراده مبدئي القبلي مني؟ هذا القبلي الجديد غير الأخلاقي، أو على الأقل اللاأخلاقوي (٢) .

والناظر في كلام " نيتشه " يدرك تماماً أنه يقوم على أسلوب التهكم والمغالطة من حيث نسبة الشرور الموجودة في العالم إلى الإله الذي لا يثبت له وجودًا، ثم على إنكار الجانب الأخلاقي، وإضفاء النسبية والتغير وعدم الثبات عليه.

---

(١) انظر: خلاصة الفكر الأوروبي : نيتشه : د. عبد الرحمن بدوي، ص ١٦٣ وكالة المطبوعات، الكويت، ط. خامسة، ١٩٧٥م.

(٢) انظر: في جنيالوجيا الأخلاق : فردريك نيتشه، ص ٣٣، ٣٤، ترجمة : فتحي المسكين، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط أولى ٢٠١٠م.

يقول نيتشه: هؤلاء النفسانيون الانكليز الذين ندين لهم بالمحاولات الوحيدة التي بذلت حتى الآن من أجل إنشاء تاريخ الأصول الأخلاقي يطرحون علينا بشخصهم لغزاً لا يستهان به، وأنا أقر من هنا بالذات أن لهم بوصفهم ألغازًا من لحم ودم، أفضلية رئيسية على كتبهم، هي أنهم هم شخصيًا مثيرون للاهتمام، ماذا يريد هؤلاء النفسانيون الأنكليز على وجه الإجمال؟ فنحن نجدهم دائمًا وأبدًا بصورة إرادية، ولا إرادية، عاكفين على نفس المهمة، أي على إبراز ذلك الجزء المخجل من عالمنا الداخلي ... إلى أن يقول: فما هو السبب الحقيقي الذي يدفع النفسانيين دائمًا في هذا الاتجاه يا ترى؟ هل هو ضرب من غريزة خفية خؤوف، تجهد لتصغير شأن الإنسان، ولا تجرؤ بها على تسليح نفسها؟ أم لعلها شبهة متشائمة، وحذر تجاه المثالي الخائب، المتجهم، انقلب إلى حقد وخبث[١].

والملاحظ أن " نيتشه " لا يكتفي بالثورة على الجوانب الأخلاقية فقط بل يحاول أيضًا أن ينتقد كل من حاول أن يؤسس لها، أو أن يضع لها معيارًا، وخاصة الإنجليز، وبهذا نجد أن مفهوم الإنسان الأعلى الذي اخترعه " نيتشه " قد ارتبط ارتباطًا كاملاً بتحرر الإنسان من الأخلاق، أو الدين، وحتى من كافة المعايير، وحتى المعايير الفلسفية، لذا دعا " نيتشه " إلى القيام بأفعال خارجة، عن نطاق الأخلاق، للحصول على التحرر الكامل، وهذا ما يفسر قيام أتباعه من بعده باجتراح ما سمي بالجريمة الكاملة[٢] .

---

(١) انظر : أصل الأخلاق وفصلها : فردريك نيتشه، ترجمة : حسن قبيسي، ص ٢١، منتدى سور الأسبكية .

(٢) انظر : إذًا ما هو الإنسان الأعلى؟ : نادر أبا زيد، موقع معابر، الشبكة العالمية، الإنترنت .

وقد اتضحت نزعة " نيتشه " الفردية المتطرفة في الجانب الأخلاقي في أقواله الآتية :

أن تخجل من بعض أخلاقياتك فتلك خطوة على سلم في نهايته، لأنك سوف تخجل أيضًا من جميع أخلاقياتك من ذا الذي لا يريد أن يضحي بنفسه من أجل سمعته، المعرفة لذاتها تلك هي آخر شرك للأخلاق، فالمرء معها يشتبك مع الأخلاق من جديد، ليست هناك ظواهر أخلاقية عن الأخلاق، هناك فقط تأويل أخلاقي للظواهر، ولا تزال هذه العبارة الجذرية تتردد في يومنا الراهن وتعاود الظهور بطرق مختلفة، وهي توحي – بالنسبة للإلحاد العلمي – أن العالم المادي أو الفيزيقي هو وحده الذي يمكن دراسته، فالأخلاق لغو فارغ كما " فتجنشتين " فليس هناك ثمة قضايا أخلاقية، وهي توحي للشعب المتدين بأن " نيتشه " كان وكيلاً للشيطان(١) .

فبينما يرى أنصار النزعة الجماعية والموضوعية أن المجتمع هو خالق القيم ومبدعها وما على الفرد إلا الالتزام بها، نجد على العكس من ذلك دعاة الأخلاق الفردانية وعلى رأسهم " نيتشه " يؤكدون أن الفرد هو خالق القيم والأفكار وأنه المبدع، أما المجتمع فمقلد للأفكار والأفعال الفردية، لقد رأى " نيتشه "حسب زعمه – وكما سبقت الإشارة – أن الأخلاق السائدة هي علامات على الانحطاط والعدم، لكونها تجسد أخلاق الشفقة والأثرة، فهي أخلاق لا فردية، أخلاق شمولية، تتجاهل الحياة وتكرس مبادئ الوهن والضعف في الإنسان، ولذا فإن، " نيتشه "ضد التعاليم القبلية كما هي لدى" كانط " لأنها

(١) انظر : أقدم لك نيتشه : لورانس جين، كيتي شين، ترجمة إمام عبد الفتاح، ص ١١٥ وما بعدها.

تؤكد وجود أخلاق وقيم مطلقة، أما " نيتشه " فيرى أن الأخلاق السليمة والرفيعة هي النابعة من إرادة قوية تمثل إرادة الحياة، في مقابل أخلاق الوهن والضعف، والاستكانة التي تمثلها الأديان(١) .

يقول أحد الباحثين : " كانط " بالنسبة لنيتشه قد أفرغ النقد من مدلوله الحقيقي، لأنه تجاوز الواقع التجريبي إلى ما ينبغي أن يكون ساعيًا إلى بلوغ المطلق، والكلي الذي يتجاوز حدود الزمان والمكان، فهذا الأساس الصوري للأخلاق الكانطية لا يمكن اعتباره إلا وهمًا لابتعادها عن المشاكل الحقيقية التي تعانيها الأخلاق كما اعترض " نيتشه "على " الفكر الهيجلي " الذي يعتبر اكتمالاً لحلقات الفلسفة والأخلاق، أو لأن " هيجل " يقدم فكره على أنه إتمام للثقافة التي يشتملها ويوجهها بكاملها، في حين أن " نيتشه " يرفض على العكس هذه الثقافة عند قاعدتها بالذات، فبرأيه وبفعله إنما تنهار الحضارة بأكملها، وينبغي أن تبدأ من الصفر من جديد، وتبني شيئًا آخر(٢) .

وبهذا يكون " نيتشه " لا يرتضي الجانب الأخلاقي الذي مرت به البشرية منذ أن وجدت، وحتى اللحظة الراهنة التي يعيش فيها، وأخذ يؤكد قيمًا جديدة ومختلفة تمامًا عن قيمنا التي ألفناها، واعتقد أن هذه القيم الجديدة تحقق الحياة القوية الثرية التي ينشدها، وتخلق الإنسان الأعلى الذي يصبو إليه، وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن الأخلاق تمثل جوهر فلسفته، بل هي فلسفته ذاتها(٣) .

---

(١) انظر: نظرية القيمة في الفكر المعاصر : صلاح قنصوة، ص ١٦٨، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط، ١٩٨٧م.

(٢) انظر : نيتشه نبي المتفوق : يوحنا قمير، بيروت، منشورات دار دمشق، ١٩٨٦م، نقلاً عن : جينيالوجيا الأخلاق عند نيتشه : عبد الله مصطفى، غريب مختار، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عدد (٤) ص ١٩٤ أكتوبر ٢٠١٦م، مركز جيل البحث العلمي .

(٣) انظر : الأخلاق عند نيتشه : حامد خليل، ص ٢١، جامعة دمشق كلية الآداب، ٢٠٠٧م.

✍ المطلب الثاني : النزعة الفردية في فكرة إرادة القوة عند نيتشه

بداية تنبغى الإشارة إلى أن فلسفة " نيتشه " برمتها كانت تؤكد فى كل خطواتها فكرة إرادة القوة، فعندما ناقش فكرة العالم، وفكرة التكرار أو العود البدى استند على فكرة إرادة القوة، وكذلك عندما ثار على فكرة الدين والإله، وقرر فكرة السوبرمان استند أيضاً على فكرة إرادة القوة، هذا علاوة على أن " نيتشه " عندما نقد الجانب الأخلاقى كان نقده ينبع من فكرة إرادة القوة.

يقول نيتشه: لم يعثر على الحقيقة من قال بإرادة الحياة، لأن مثل هذه الإرادة لا وجود لها، وليس للعدم إرادة، كما أن المتمتع بالحياة لا يمكنه أن يطلب الحياة، ولا إرادة إلا حيث تتجلى حياة، ومع هذا فإن ما أدعو إليه إن هو إلا أرادة القوة لا إرادة الحياة[١] .

ويقول أيضاً: أنصتوا إليّ أيها الحكماء العظماء، وانظروا جيدًا إن كنت قد نفذت إلى صميم قلب الحياة، لقد وجدت إرادة القوة لدى كل حي، حتى في إرادة الخادم رأيت إرادة التحول إلى سيد، وأنت يا من تبلغ المعرفة، إنك لست سوى درب سلكته إرادتي، وأثر أقدامها عليه، والحقيقة أن إرادة القوة لدي تمشي كذلك بساقي إرادة الحقيقة، فقط حيث تكون الحياة تكون الإرادة، ولكنها ليست إرادة الحياة، بل ما أدعوا إليه إرادة القوة[٢] .

---

(١) هكذا تكلم زرداشت : فريدريك نيتشه، ترجمة : فليكس فارس، ص ١٤٤ بيروت، دار القلم– بيروت .

(٢) المرجع السابق : ترجمة محمد التاجي، ص ١٠٦ الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٨م.

والملاحظ أن " نيتشه " يرجع الوجود كله بأجمعه إلى الإرادة، والإرادة بدورها إلى إرادة القوة، لأنها هي المفتاح للتفسير والتقويم لديه، ففهم شيء ما يعني أن تميز فيه القوة، ويكتسب قيمته تبعًا لإرادة القوة التي تعبر عن نفسها فيه، أو تلونه بأفكارها ومفاهيمها، من هنا فإن الوجود هو قوة لا بمعنى أن القوة مثال جاهز، أو صورة نموذجية يسعى إليها من أراد الهيمنة، الأمر أبعد من هذا بل يعني أن الأشياء جميعها هي قوى تريد، أي تريد الإثبات والنمو والصيرورة والمقدمة الذاتية، أو إرادة معاكسة تريد التدمير والانتقام والتهاون والرضا عن الذات، على حد قوله: "ما يبتغيه الإنسان، وما يبتغيه أصغر جزء في العضوية هو الزيادة في القوة، إن فعل الإرادة هو خلق القيم الجديدة [١] .

إن فكرة إرادة القوة عند " نيتشه " ما هي إلا نزعة فردية ثورية ضد كل المسلمات التي يحملها الواقع والتاريخ، لأنها تدعوا إلى قيم جديدة في مقابل القيم السائدة، هذا بالإضافة إلى أنها أيضًا دعوة إلى إبراز خصائص وقوى الإنسان الكامنة في ذاته، بدون شرط أو قيد حتى وإن تصادمت مع الواقع أو الحياة .

يقول لورانس جين: من الواضح أن تحدى " السوبرمان " يحتاج إلى موقف ذهني وجد " نيتشه " أنه غائب عن ثقافته، ومثل هذا الموقف الذهني يحتاج إلى مستوى غير عادي من الشجاعة يسميه " زرداشت " " إرادة القوة "، وقد التقى " نيتشه "بهذه الفكرة عند " شوينهور " وتوحي فكرة إرادة القوة من الناحية

---

(١) انظر: المعرفة والارتياب، المسألة الارتيابية لقيمة المعرفة عند نيتشه وامتدادها في الفكر الفلسفي المعاصر : عبد الرازق بلعقروز، ص ١٠٦، دار المنهل، ٢٠١٣م.

السطحية بمبدأ فج، وهو انتصار الأقوى، لكنه أيضًا مبدأ سيكولوجي أساسًا للسلوك البشري، إن كل موجود يسعى إلى أن يمد نطاق فعله وتأثيره لتدعيم نفسه وتقوية ذاته، ويرى النقاد في هذه النظرية صورة من صور الفرد الذاتي الأناني الذي لا أخلاق له، والذي يخدم ذاته فحسب [١] .

هذا ويرى " نيتشه " أن الإنسان هو الذي أضفى القيمة على الأشياء ليبقى على نفسه، وتبعًا لهذا تصبح الأخلاق هي نظرية التقييمات، وهذه الأخيرة تختلف باختلاف وضع الغرائز والقوى، لأن القيم من الوجهة النيتشوية هي لغة الأهواء والانفعالات، والتي بدورها لغة رمزية لوضع الغرائز والقوى أي لوظائف الجسد، فالإنسان يضع القيم لحفظ بقائه ضمن ظروف حيوية معينة، وبذلك تصير نظامًا من التقديرات مرتبط بشروط الوجود بالنسبة لكائن ما، والذي ينتج هذه القيم داخل الإنسان هي إرادة القوة باعتبارها العنصر الذي يحدد سلم القيم الأخلاقية تبعًا للنموذج المؤول : النموذج الفاعل أو الارتكاسي، وتعني إرادة القوة بالمعنى الفاعل غريزتي الإثبات والصحة والتفوق، والعكس يعبر عن النفي والوهن الفيزيولوجي[٢] .

وبناءً على تطبيق فكرة إرادة القوة على الجانب الأخلاقي عند " نيتشه " تصبح الأخلاق نسبية، وتختلف من فرد إلى آخر حسب رؤيته، وحسب مصلحته، ومن هنا تعم الفوضى، والأخلاق النفعية فى المجتمع.

يقول أحد الباحثين: لقد دعا " نيتشه " إلى تجاوز أشكال العدمية التي يطرحها الإنسان السلبي الإرتكاسي، واستبدالها بعدمية فاعلة تستعيد فيها الإرادة

---

(١) انظر : نيتشه : لورانس جين، كيتي شين، ترجمة : إمام عبد الفتاح، ص ٨٨ وما بعدها .

(٢) انظر : جينيالوجيا الأخلاق في فلسفة فريدريك نيتشه : محمد حجاوي ص ٧٥.

صلتها بالزمن حيث الصلة تبدو واضحة بين إرادة الفعل والبناء، ومغادرة عالم الثنائيات، وقيم النفي لاستبدالها بعالم الأرض الحسي المفرط في إنسانيته، إن العدمية في مفهومها النيتشوي هي تمظهر لتحويل القيم، ولا يستطيع القيام به سوى الإنسان الأسمى المتجسد في " زرداشت " الذي جاء مقرونًا بالعود الأبدي، وإرادة القوة، ومجمل رسالة " زرداشت " المثل الأعلى لـ" نيتشه " هو تخليص الإنسان الحديث من القيم التي لقنتها إياه الأديان وموضعته في مكان جديد بمعزل عن الخير والشر، يمكنه من السمو على القيم السائدة، والسمو معناه ـ حسبما يزعم نيتشه ـ أن يظل البشر أوفياء للأرض، وألا يتطلعوا إلى عالم مفارق، وألا يحتقروا الجسد، بل يقدسوه، ويستعيدوا قيمته في الحياة بعد أن سلبته التصورات الأخلاقية واللاهوتية كل قيمة، فهو صوت الأقوياء ذوي الجسد السليم الذين لا ينصتون سوى لإرادة القوة باعتبارها مبدأً للحياة، إن الجسد هو مصدر الإبداع والإرادة والقيم الحرية، وليس العقل سوى وسيلة للضعفاء في الدفاع عن وجودهم ضمن دائرة الصراع من أجل القوة[١] .

وبمفهوم فكرة إرادة القوة السابقة يكون " نيتشه " قد طمس على جميع الجوانب الأخلاقية التى أرساها الدين، والمجتمع، والعرف، بصفة عامة، هذا بالإضافة إلى طمسه لماهيات العالم العلوي، أو الجوانب الميتافيزيقية أوالمثالية، مع إعطائه الأولوية والقيمة للعالم السفلي أو الحسي، والذي يحكمه ويسيطر عليه الإنسان بما أقره له " نيتشه "من فكرة التعالي وإرادة القوة.

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ٧٧، محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه : صفاء عبدالسلام جعفر، ص ٤٣٤، دار المعرفة الجامعة، القاهرة ١٩٩٩م.

وبهذا يتأكد أن الوجود عند " نيتشه " ليس إلا الحياة، وليست الحياة إلا إرادة، وليست الإرادة إلا إرادة القوة، والحياة عند " نيتشه " لا تستطيع أن تحيا إلا على حساب حياة أخرى لأن الحياة هي النمو، وهي الرغبة في الاقتناء، والزيادة فيه وما دامت كذلك، فهي إرادة سيطرة واستيلاء، وتملك وتسلط وخضوع، وحيث توجهت فلن تجد غير إرادة القوة فهي الدافع الحقيقي في النفس، وهي العامل الجوهري في الجماعة والدولة، وإرادة القوة عند " نيتشه "هي سر الوجود، فلنبن على أساسها إذًا مستقبل الوجود، ومن هنا يمكن القول إن حقيقة فلسفة " نيتشه " تقوم على فكرة إرادة القوة، وأن مصدر قلب القيم ليس التأمل والتحليل، بل محض إثبات القوة – وهي محض وجود – وأن يكون المرء ملمًا بتبرير ذاته[١] .

وبناءً على ما سبق يمكن القول : إن النزعة الفردية عند " نيتشه " تتجسد في فكرته عن إرادة القوة، وتعد الإرادة أساس كل فردية، وجوهر الوجود الحقيقي، وأهم عامل من عوامل تحقيق الذات لإمكانياتها، بل إن الإرادة هي وحدها التي تميز الفرد عن الكل، أو المجموع ولذا نجد أن معظم الفلاسفة الذين نادوا بالفردية قد أكدوا على أهمية الإرادة، وبناءً على تمجيد " نيتشه " للإرادة الفردية فإنه يناهض ما يسمى بالإرادة العامة لدى " روسو " أو الفكرة المطلقة لدى " هيجل " أو الإرادة العامة لدى " شوبنهور" والتي تعبر عن إرادة الوجود، لأنها من وجهة نظره إرادة جوفاء، وقد وصف " نيتشه " هذه الإرادة

---

(١) انظر: موسوعة تاريخ الفلسفة، الفلسفة الحديثة: إميل برهييه، ترجمة : جورج طرابيشي، ص ١٣١، دار الطليعة، بيروت .

بالقوة لتمييزها عن الإرادة الضعيفة، وليؤكد أيضًا أن الحياة لا تنمو إلا بالقوة، ولكن من الإنسان الذي يدعوه " نيتشه " إلى ممارسة إرادة القوة ؟ إنه الإنسان الأعلى الذي يأخذ على عاتقه تغيير العالم(١) .

وبهذه الإرادة الخارقة، والمطلقة يمكن للإنسان ـ حسبما يرى " نيتشه "ـ أن يحقق أهدافه وغاياته بعيدًا عن قيود المجتمع، والدين، والروابط الاجتماعية التي تقف حائلاً أمامه.

(١) انظر: الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر: د. حسن الكحلاني : ص ١١٤ وما بعدها، الأخلاق النظرية : د. عبد الرحمن بدوي، ص ٢٨٢، ٢٨٣، وكالة المطبوعات، الكويت، ط. أولى ١٩٧٥م.

✍ المطلب الثالث : النزعة الفردية في تقرير أخلاق السادة والعبيد عند نيتشه

بداية تنبغي الإشارة إلى أن " نيتشه "عندما قام بنقد أخلاق الجنس البشري القديمة، والحديثة، اعتمد في فلسفته على ما يسمى بـ " المنهج الجينيالوجي "، وكلمة " جينيالوجيا " مشتقة من اللفظة اليونانية " جينو " والتي تعني العلم، وتقابلها في اللغة الألمانية مصطلح " herknunft "، والذي يعني المصدر، أو النسب، والانحدار من زمرة دم، أو عرق تنخرط فيه طائفة من مستوى رفيع، أو وضع، وهذه الفكرة التي تبحث في علم الأنساب تعنى: طريقة أو نزعة فردية اخترعها " نيتشه "، من أجل الكشف عن أصل القيم والتقييمات، ومصادرها الأولية، فهي تقوم على أساسين، أو جانبين: نقدي، وبنائي حسبما يشير لذلك " نيتشه ".

ولعل الجانب النقدي الذي تقوم عليه « الجينيالوجيا » يتمثل في معارضة كل أشكال القيم المفارقة للوجود من قيم مطلقة، ومثالية دينية، وميتافيزيقية، والتي تهدف كما يعتقد " نيتشه "إلى طمس حقيقة الوجود، والكائن معًا، أما جانب البناء فيتمثل عند " نيتشه " في ضرورة إعادة تقويم القيم التقليدية، والعمل على خلق قيم جديدة لا تتضمن معاني مفارقة للوجود، وفكرة " الجينيالوجيا " بصفة عامة تقوم على التفرقة بين أخلاق السادة، وأخلاق العبيد، أو أخلاق الضعفاء، وأخلاق الأقوياء[1].

---

(١) انظر: نيتشه والفلسفة: جيل دولوز، ترجمة : أسامة الحاج، ص ٥، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٩٣م.

والجدير بالذكر أن " نيتشه " قد جمع مبادئه وحكمه الأخلاقية التي نص فيها على فكرة أخلاق السادة، وأخلاق العبيد، في كتابين الأول بعنوان: " ما وراء الخير والشر " ، والثاني : " تاريخ تسلسل الأخلاق " أو " أصل الأخلاق وفصلها " ، وكان يرجو في هذين الكتابين تدمير الأخلاق القديمة، وتمهيد الطريق لأخلاق الإنسان الأعلى، و" نيتشه "ـ كعادته ـ ينزع أيضاً فى فكرة أخلاق السادة والعبيد، فردية متطرفة، ويطرح كلامه على غير المعتاد أو المعقول فمثلاً يقول: إن في اللغة الألمانية كلمتين بمعنى (سيئ) إحداهما: تستعملها الطبقة العليا في حديثها عن الطبقة السفلى، ومعناها عادي أو عامي، ثم تكونت هذه الكلمة بعد ذلك فأصبحت تستخدم بمعنى كلمة (سوقي تافه سيئ) أما الكلمة الأخرى: فقد كانت تطلقها الطبقة السفلى على الطبقة العليا ومعناها (غير مألوف) (غير عادي) أو (خطير أو مُضر) كما أن كلمة (حسن) لها معنيان أيضًا يقابلان كلمتي (سيئ) فتستخدم الطبقة الأرستقراطية هذه الكلمة بمعنى (قوي، وشجاع، جبار، محارب، أو إلهي) أما بقية الشعب فيستعمل هذه الكلمة بمعنى (سالم، غير مُضر) أو لطيف[1] .

يقول لورانس جين: يرى " نيتشه " أن هناك صدعًا أساسيًا في تاريخ الشعور الأخلاقي بين أولئك الذين قبلوا وأطاعوا القانون الأخلاقي، ورحبوا به لحماية ذواتهم الخاصة، وأولئك الذين هم نادرون، ولم يقبلوا أية سلطة سوى سلطتهم هم، ولهذه الجماعات علاقة تكافلية مثل علاقة السيد والعبد، ويشير " نيتشه " إلى أن مثل هذه القسمة لم تكن قط شاملة، وفي رأيه أن عقلية العبد

(١) فردريك نيتشه نبي فلسفة القوة : كامل محمد محمد عويضة، ص ٢٣، ٢٤.

تعمق نفسها، وتكمل ذاتها عبر آلاف من السنين في مقاطعة شرسة للسيد، وهذه المقاومة لن تتغلب أبدًا على إرادة القوة التي تملكها الروح الحرة، حقيقة، والمثل النموذجي للروح الحرة، والأخلاق النبيلة في الأخلاق يجد " نيتشه " أصولها في الثقافة الارستقراطية كما هي الحال عند اليونان القدماء، فهنا ترتبط فكرة «الخير» بـ «حالات الفخر والاستعلاء التي اعتبرت متميزة، وتتجدد بواسطة نظام الرتبة، أي النظام الاجتماعي، وفي مثل هذه الثقافات لا توجد فكرة الخير والشر، بل بالأحرى فكرة النبالة والوضاعة، وهذان المصطلحان ينطبقان على الناس، لا على الأفعال فالخير: = النبالة = الشخصية الاستثنائية، والشر: = الوضاعة = الشخصية الحقير أو الخسيسة[1].

هذا بالإضافة أيضاً إلى أن " نيتشه " لم يأل جدًا في شرح أن الإنسان حين يولد في طبقة ارستقراطية فإن ذلك لا يضمن له أن يكون شخصية مستثناه، وسوف تكون تلك حالة أخرى من مغالطة الجنس، لأن هذه الأخلاق لحسن الطالع تخلق نفسها أو أن نوع الرجل النبيل ينظر إلى نفسه على أنه هو الذي يحدد القيم، وفي استطاعتنا أيضًا أن نطلق على هذه الأخلاق اسم أخلاق السيد، وعليه فهناك تقديران متناقضان في السلوك الإنساني أو وجهتان للنظر في الأخلاق عند " نيتشه "، أخلاق السادة، وأخلاق الطبقات العامة، فالفضيلة بالنسبة إلى الروماني العادي تعني الرجولة، والشجاعة والإقدام والجرأة، أما الأخلاق الثانية – أخلاق العبيد – فقد جاءت من آسيا، وخاصة من اليهود أيام

(١) نيتشه : لورانس جين، كين شين : ترجمة : د. إمام عبد الفتاح إمام ص ١١٩، ١٢٠ .

خضوعهم السياسي؛ لأن الخضوع يُولد الذل والضعة، والعجز ينتج طلب المساعدة من الغير [١].

والخلاصة أن " نيتشه " يرى أن هناك نوعين من الأخلاق: الأولى أخلاق السادة، وتتميز بالقوة، وتصدر عن الأفراد الأقوياء، والذين تفيض قيمهم على المجتمع بأسره، والثانية: أخلاق العبيد، وتتسم بالضعف، وكراهية كل ما هو قوي وشرير حيث يقول: ثمة أخلاق للسادة وأخلاق للعبيد، وإني لأذهب إلى أنه في كل الحضارات العليا والمتخلطة، تظهر محاولات للتوفيق بين هذين النوعين من الأخلاق، فالتمييز بين القيم الأخلاقية إما أن ينشأ عن نوع من السادة الذين يجدون لذة في التمييز عن المَسُوْدِينَ، أو تنشأ عن المَسُوْدِينَ أنفسهم، أي عن العبيد والتابعين، ففي الحالة الأولى: عندما يكون السادة هم الذين يحددون معنى تصور الخير، تكون الأحوال السامية المترفعة للنفس هي التي تعد فضلاً، وهي التي تحدد التفاوت في المراتب، ولا شك فى أن هذا النمط من أخلاق السادة ليس سوى تمجيداً للذات، فهي التي تحدد الدراجات والمراتب، ونحن لو حاولنا إجماع الصفات اللازمة لهذا النوع والصنف البشري لقلنا إنها كما يرى " نيتشه ": ١ – أخلاق أصيلة. ٢ – أخلاق تمجد الفردانية. ٣– لا تقبل بالقيم الثابتة. ٤ – إنها مرتبطة بإرادة القوة . [٢] .

---

(١) انظر: نيتشه : لورانس جين، كيتي شين، ترجمة : د. إمام عبد الفتاح إمام، ص ١٢٠، قصة الفلسفة الحديثة: أحمد أمين، زكي نجيب محمود، ٥٣١/٤، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٥هـ – ١٩٣٦م، قصة الفلسفة : ول ديورانت، ص ٥٢٤، ٥٢٥.

(٢) انظر : نيتشه : فؤاد زكريا، ص ١٦٦ وما بعدها، الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر: د. حسن محمد الكحلاني، ص ٨٠، ٨١، جينيالوجيا الأخلاق : نيتشه الفقرة=

تعقيب :

لقد اتضح من خلال ما سبق أن فلسفة " نيتشه " الأخلاقية تتسم بالنزعة الفردية، والعنصرية المتطرفة، وذلك لأن " نيتشه " قام أولاً بنقد جميع الاتجاهات والجوانب الأخلاقية التي كانت سائدة في عصره، ولم يرتض أي جانب منها، وعدَّها السبب في تأخر البشرية وفسادها، ثم حاول أن يقيم مكانها أخلاقًا طبيعية نفعية تخص الفرد نفسه، وتخدمه حتى وإن كانت تتعارض مع المجتمع، أو الدين.

والغريب فى الأمر أن " نيتشه "عندما تناول الأخلاق بالنقد، لم يقتصر فى نقده على الأخلاق السلبية، أو حتى الأخلاق الاجتماعية السائدة فى عصره التى لا يرتضيها هو من وجهة نظره القاصرة، بل تناول أيضاً الأخلاق الدينية التي قررتها الشرائع، ولم يستثنيها من النقد، وبهذا يتأكد أن " نيتشه " لا يُقر أى عقيدة دينية، ولا يعترف بأي تشريع سماوي، فنقد " نيتشه " للأخلاق قد يكون مقبولاً ـ كما سبقت الإشارة ـ إن اقتصر على نقد الأخلاق البائدة أو الفاسدة التي تتعارض مع الدين والعرف، والمجتمع، ولكنه كان على العكس من ذلك، وتناول الغث والسمين من الأخلاق، لدرجة أنه عاب على الأديان دعوتها إلى التواضع والتراحم، والتعاطف، لإنها تؤدي إلى العنف والاستكانة، ولا تبني شخصًا، ولا مجتمعًا قويًا.

=التاسعة ص ٩٣، نقلاً عن : جينيالوجيا الأخلاق في فلسفة فردريك نيتشه : محمد حجاوي ص ٧٥، مجلة مقاربات عدد: ٤ عام ٢٠٠٩م، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل .

يقول ول ديورانت : يرى " نيتشه " أن فصاحة الأنبياء هى التي جعلت من أخلاق الطبقات المحكومة الضعيفة مقياسًا للأخلاق العامة، وأصبحت الدنيا والجسد عنوانًا للشر، وأضحى الفقر برهانًا على الفضيلة، وقد بلغ هذا التقدير أو المقياس الأخلاقي ذروته في تعاليم المسيح الذي نادى بالمساواة بين الناس في الأقدار والحقوق، وتفرعت عن تعاليمه، ومبادئه المبادئ الديموقراطية والاشتراكية، وأصبحت هذه الفلسفات العامية الشعبية مقياسًا، وتعريفًا لكل تقدم، ورمزًا لكل مساواة، والواقع أن الحياة التي تقوم على مثل هذه المبادئ الشعبية هي حياة في طريق الانحلال والانحدار، وإن آخر مرحلة لهذا الانحلال والانحدار هي تمجيد الشفقة وتعظيم التضحية بالنفس، والشعور بالعطف [١].

وبناءً على ما سبق دعا " نيتشه " إلى القضاء على كل دعوة دينية، أو فلسفية تدعوا إلى الرأفة، والرحمة، والعطف على الفقراء، فالعاجز، والمريض، والجاني، والضعيف والذليل، والمتواضع كل هؤلاء رقع في ثوب الأمة يجب أن يعمل على إزالتها لينسجم الثوب[٢].

أي فلسفة هذه، وأي عقل هذا الذي أخرج هذه المخرجات العقلية الفارغة، وأراد أن يقذف بها في عالم البشرية، ويُصر على تطبيقها؟

إن هذا الكون بأسره، وما يحتوي عليه من ممكنات وحوادث لم يُخلق لفئة واحدة، أو لم يُسخر لطائفة معينة، وإنما خلق للجميع، هذا بالإضافة إلى أن خالق الكون قد أوجب على الغني أن يعطف على الفقير، وأوجب على القوي

---

(١) انظر : قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي : ول ديورانت، ص ٥٢٦.

(٢) انظر: فيض الخاطر : د. أحمد أمين، ١٢٩/٥، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر.

أن يحمل الضعيف، ويحميه لا أن يُبيده، كما تخطط لذلك فلسفة " نيتشه " ثم نقول لـ" نيتشه ": هل تضمن أن يعيش الكون والبشرية في هناء وسلام إذا خلا العالم من الضعفاء، والفقراء، والمرضى ؟؟

وهل سيستطيع الأغنياء والأقوياء والسادة أن يزاولوا حياتهم، ونشاطهم، وأن ينظفوا قصورهم، وبيوتهم، وأن يَستزرعوا أرضهم، وأن يُشغلوا مصانعهم بدون الفقراء والعمال؟؟

إن حياة السادة لا تستقيم – كما يثبت الواقع العملي – إلا بوجود الطبقة الفقيرة التي تخدمهم، وتضحي براحتها وصحتها من أجل إسعادهم، والسهر على راحتهم، هذه الطبقة التى يريد " نيتشه " أن يزيلها من المجتمع البشرى، ويدعو السادة والنبلاء إلى معاملتها معاملة شاذة، مع التخلى حتى عن أقل درجات الإنسانية نحوهم، والتي تتمثل في الشفقة، والرحمة بهم.

يقول د. عبد الوهاب المسيري: إن الصفات والخصائص التي منحها " نيتشه " للسادة، والذين يمثلون القلة في العالم، وفي نفس الوقت حرم منها الأغلبية – أو العبيد – على حد قوله، لا تمثل تساميًا أو فضيلة للسادة لأنه لا يوجد تسام، أو تحاور لأخلاق الوحوش الشقر المفترسة، فكل صفات الأرستقراطي تزيد من مرجعيته الذاتية الكافية، ومن ثم فلا يوجد أي مقاييس خارجة عنه، بل يظل هو المطلق ذاته، ومن ثم لا يمكن محاكمته، كما أن كل شيء في الأرستقراطي مرتبط بالقوة، فهو حين يعفو فهذا غير ناجم عن حب لأخيه الإنسان، أو أي منظومة خلقية متجاوزة له، وإنما ناجم عن تدفق غريزي

في القوة، أي عن مزيد من الطبيعة والوحشية والإمبريالية، أي أنه سلوك يتجاوز الخير والشر، ولا يتسم بأي تعال، أو تسام[١].

يقول بولس سلامة : ولا يُستغرب من " نيتشه " تنكره للضعفاء، ودعوته لإبادتهم وهو الذي يؤثر الطبيعة والجماد على الإنسان، فيرى فيه أنانيًا ضالاً مشوهًا يستسلم للتأويل وفقًا لخياله الجامح حيث يقول بكل وقاحة : « إن الطبيعة الدائمة الحركة تسير بلا ضلال، فتقوم فيها قوة ضد قوة، وأما العالم الحساس فهو عالم النفاق والكبرياء، وإن الإنسان بل أعقل الناس هو أكبر ضلالة قذفت بها الطبيعة، وهو أدنى مظاهر انحطاطها، لأنه الكائن الأكثر عرضة للألم، وهكذا نراه يتخذ من الألم حجة على سقوط الإنسان، وهذا الرأي غاية في السخف، فالألم أبرز مظاهر الإنسانية بل هو تذكرة الهوية التي يعرف بها الإنسان[٢] .

إن " نيتشه " قد توهم نفسه القوة التي لا شيء فوقها، فهو القدر، وبين يديه أعنة البشر، إليه ألقيت مقاليد الإنسانية، وبين كفيه موازين القيم، وكان طبيعيًا أن يعمد هذا الأتون المضطرم إلى إحراق الحواجز، وتهديم كل ما يقف في طريق الحرية عشيقته منذ شبابه الأول، أولم يكتب وهو تلميذ في الخامسة

(١) تنظر : نيتشه فيلسوف العلمانية الأكبر : د. عبد الوهاب المسيري، ص ١٢٢، الناشر : عبد الصمد بلكبير، مجلة الملتقى عدد: ١٦، مايو ٢٠٠٧م.

(٢) الصراع في الوجود : بولس سلامة، ص ٢٠٥.

عشرة من عمره : لا يحق لأحد أن يتجاسر فيسألني عن وطني، فلست مرتبطًا بالمكان ولا بالزمان(١).

يقول ول ديورانت : لقد غالى " نيتشه "كثيرًا في نظامه الأخلاقي فنحن نوافق على الحاجة إلى حث الرجال على أن يكونوا أكثر شجاعة وأصلب عودًا وأقوى مراسًا فقد طالبت كل فلسفة أخلاقية بهذا، ولكن لا داعى إلى حث الناس لأن يكونوا أشد قسوة، وأكثر شراً، هذا وليس من الإنصاف أن نشكوا من أن الأخلاق سلاح في يد الضعيف يستخدمه للحد من قوة القوي، والواقع أن الأقوياء لم يتأثروا بالأخلاق كثيرًا، بل استخدموها استخدامًا يتناسب مع منفعتهم، هذا بالإضافة أيضاً إلى أن معظم مبادئ الأخلاق قد فرضت من الأعلى على الأسفل، والحق أن بصيرته الأخلاقية كانت محدودة (٢).

أي فلسفة هذه، وأي فكر سليم هذا الذي لا يرى غضاضة في أن يشقى السواد الأعظم من الشعب من أجل تأكيد الأقلية الأرستقراطية لذواتها، ولعل ما يلفت النظر بشدة في فلسفة " نيتشه " الأخلاقية هو كراهيته الشديدة للنساء، حيث نجده في كتابه الشاعري « هكذا تكلم زرداشت» يصف النساء بأنهن قطط، وطيور، وأبقار على أحسن تقدير، ويرى أن دورهن في الحياة يقتصر على الترفيه عن الرجال، والأبطال الذين يتدربون ليل نهار على الحياة

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٨٥.
(٢) انظر: الصراع في الوجود : بولس سلامة، ص ١٨٥.

العسكرية الصارمة، وليس هناك أدل على احتقاره للمرأة من قوله : « إذا ذهبت إلى إمرأة فلا تنسى أن تأخذ معك سوطك »[١].

إن فلسفة " نيتشه " الأخلاقية تهدف إلى استبدال القديس « بالسوبرمان » الذي لا يعلم أحد، ماهيته أو كنهة سوى " نيتشه " هذا " السوبرمان " الذي يحق له أن يحكم العاديين من البشر، وهذا " السوبرمان " النبيل ليس قادرًا على ممارسة القسوة فحسب بل اقتراف الجريمة، بدون حاكم أو رادع، هذا ويرجع الدارسون إعلاء « نيتشه » لظاهرة القسوة والعنف في جانبه الأخلاقي إلى رغبته في التعويض عن ضعفه وتخاذله، ويسخر « برتراند راسل » منه فيقول: إن " نيتشه "هاجم « إسينوز ا» لما أظهره من ضعف وتخاذل، والأحرى بنا أن نهاجم " نيتشه " للسبب نفسه، فهو إنسان ضعيف، وسقيم يأمل في أحلام يقظته أن يتحول إلى مقاتل مغوار لا يشق له غبار، ويضيف « راسل » قائلاً: إن كراهيته للمرأة، ودعوته إلى استخدام السوط معها يرجع إلى إدراكه لضعفه، ويقينه من أنه لن يتمكن بحال من الأحوال من السيطرة عليها[٢].

(١) انظر : قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي : ول ديورانت ص ٥٤٩.
(٢) انظر : ملحدون محدثون ومعاصرون : رمسيس عوض، ص ٢٠ وما بعدها .

المبحث الخامس
أثر نزعة نيتشه الفردية فى الإلحاد المعاصر

(١) الإلحاد لغة: مصدر مأخوذ من الفعل الماضى لَحَدَ، أو أَلحَدَ، يُقال: لَحَدت اللحد لَحْداً، وأَلحَدته إلحَاداً، أى حفرته، واللحد: الشق الذي يكون فى جانب القبر، ويوضع فيه الميت، وسُمى لَحْدَاً، لأنه قد أُميل عن وسطه إلى جانبه، ومنه أَلْحَدَ فى دين الله أى: مال عن طريق الحق والإيمان، أو مال عن القصد، انظر: المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير، لأبى العباس الفيومي، ج٢، ص٥٥٠، دار المعارف، القاهرة، ط. ثانية.

والإلحاد اصطلاحاً: مذهب فكري ينفي وجود خالق الكون، وقد اشتقت التسمية من اللغة الإغريقية (أثيوس) وتعني بدون إله، والإلحاد ليس ظاهرة جديدة، فقد وُجد في حقبٍ مضت، لكن الإلحاد المعاصر شكل طوفانًا جارفًا، بسعة انتشاره، وتعقُّد مسائله وقضاياه، وخطورته لا تقاس بخطورة الإلحاد السابق الذي كان أثرهُ لا يكاد يتعدَّى صاحبه، فالإلحاد اليوم بوابة إلى العبث بالمسلَّمات وإفساد الذوق والأخلاق وتحطيم القيم الاجتماعية، انتهاءً بازدراء الإنسان واحتقاره، ويمكن أن يُعرَّف الإلحاد المعاصر: بأنه تيارٌ فكريٌّ يستخدم الوسائل البحثية الحديثة، ومناهج البحث العلمي المعاصرة في الدعوة إلى فكرةٍ عدميةٍ أساسُها إنكار وجود الخالق، وأنّ المادة أزليةٌ، وهي الخالق والمخلوق في الوقت نفسه، وأنّ الحقائق العلمية تؤيّد اعتقاداتهم، ومن أهم الأسباب التى أدت إلى انتشار الإلحاد فى الفكر الإنسانى شرقاً وغرباً، ١ــ انتشار التيارات الفكرية المنحرفة، كالليبرالية، والعلمانية، والحداثة، هذا بالإضافة أيضاً إلى ظهور بعض النظريات العلمية الحديثة المتطرفة، كالداروينية، والعقلانية. ٢ــ التربية الغير سوية، والاضطرابات النفسية، والعقلية، والجمود الديني. ٣ــ السطحية الفكرية، والتقليد والتبعية للفكر الغربى المتطرف، ومن أهم آثار الإلحاد المعاصر: الدعوة إلى الحرية المطلقة، وإنكار الثوابت، وشيوع الإباحية والشذوذ، وظهور التفكك الأسرى، والمجتمعى، وانتشار الأمراض النفسية والانتحار.=

من خلال مناقشة النزعة الفردية المتطرفة عند " نيتشه " والتي تقررت في فكرته عن الإنسان، وأصل بدايته، ونشأته، وأطواره، وفكرته عن العالم الطبيعي، وإثباته لماهيته كمًا وكيفًا في مقابل إنكار جميع الجوانب الميتافيزيقية، وعلى رأسها فكرة الدين، والإله المفارق للعالم، بالإضافة إلى الثورة العارمة التي ثارها " نيتشه "على الأخلاق ومحاولته تقويضها جملة وتفصيلاً – من خلال ما سبق – يمكن القول: إن جميع الأفكار والاتجاهات الفكرية التي صدرت عن " نيتشه " تنم عن نزعة إلحادية قاتمة، تهدف إلى القضاء على جميع المسلمات، والثوابت، وإرساء وتغذية فكرة الإلحاد المعاصر الذى كان سائداً فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة

ومما يثير العجب أنه على الرغم من إجماع المفكرين والباحثين على فساد نزعة نيتشة الفردية، والدعوة إلى مقاطعتها، على أنها نزعة متطرفة تغذى الإلحاد وتقويه، إلا أننا نجد أن فلسفة " نيتشه " المتطرفة قد جالت الزمان والمكان، وتخطت الحواجز والعوالم حتى وصلت إلى اللحظة الراهنة التى نعيش فيها، لدرجة أننا نجد البعض من الشباب والباحثين المتحررين، والملحدين ـ شرقاً وغرباً ـ يقتبسون من أقواله وأفكاره الشاذة، ويعرضونها على صفحات

=انظر: الإلحاد: أسباب هذه الظاهرة، وطرق علاجها، عبد الرحمن بن عبد الخالق: ص٣، وما بعدها، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط. ثانية: ١٤٠٤هـ، ميليشا الإلحاد: عبد الله بن صالح العجيري: ص١٧، وما بعدها، دار تكوين للدراسات والأبحاث، ط. ثانية: ١٤٣٥هـ، خرافة الإلحاد: د. عمرو شريف، ص٩، وما بعدها، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط. أولى:١٤٣٥هـ.

المواقع الإلكترونية، ويشيدون بها وبأهميتها على اعتبار أنها مسلمات عقلية صحيحة، ولا تقبل الشك.

يقول أحد الباحثين: على الرغم من أن عمر " نيتشه " العاقل لم يتعد الأربعة وأربعين عامًا إلا أنه قد ترك أثرًا بالغًا في الفكر الإلحادي، وأعتنق الكثيرون أفكاره الصادمة، فهو الذي بدأ طفلًا متدينًا كابن لقس إنجيلي، حتى دعوه بـ " القسيس الصغير"، وعندما شبَّ أنقلب رأسًا على عقب، فمجَّد القوة والحرب، وأشاد بالإنسان السوبرمان، وفلسفته التي مجَّدت القوة والقسوة التي أفرزت لنا " الفاشية والنازية "، كما أنه كان له باع كبير في زرع بذور الإلحاد، وفي التهكم على العزة الإلهيَّة فهو صاحب مقولة " لقد مات الله"، وفي الهجوم على الأديان، حتى أنه قال عنها إنها اللعنة الكبرى، والوصمة الخالدة في جبين البشرية، ووصف أخلاقها بأنها أخلاق العبيد الجبناء، وهاجم المرأة، والإنسان، والأصدقاء، وتخاصم مع الكل حتى مع نفسه، ورأى في ذاته أنه الإنسان الذي لا يعلو عليه آخر، وأستعذب الألم، وهاجم الموت العادي الذي يأتي في وقت غير مناسب، وشجع على الانتحار، وهو الذى قال عنه " هنري موريس" : أما فلسفة نيتشه فقد أثرت بعمق في اتجاهات السياسة الألمانية حتى أصحبت أساس القوة الحربية الألمانية المكثفة التي حشدتها في فترة الثلاثينيات من هذا القرن، وكانت سببًا من أسباب الحرب العالمية الثانية.([1])

---

(١) انظر: رحلة إلى قلب الإلحاد، الإلحاد بذار ورجال: حلمى يعقوب، ج١، ص ١٤٧، الكتاب المقدس ونظريات العلم الحديث: هنرى م. موريس: ترجمة: نظير عريان ميلاد، ص٥٩، مكتبة المحبة.

والجدير بالذكر أن فكرة " موت الإله " التى صدع بها " نيتشه "، والتى دوت فى جميع أرجاء العالم الغربى، وعززت الإلحاد المعاصر لم تكن من ابتكاره، كما لم يكن هو أول من استعملها، بل كان اللفظ موجوداً في الثقافة الألمانية منذ القرن السابع عشر، ثم تطور حتى وصل إلى " نيتشه "، وقد كانت أول مرة طرح فيها " نيتشه " فكرة موت الإله في كتابه « العلم المرح » الذي نشر عام ١٨٨٢م، والذى وصفه بأنه « أكثر كتبه شخصية»، وقد تأثر " نيتشه " في هذه الفكرة بالثورة التي أحدثها عصر التنوير في أوروبا، حين طرحت فكرة: أن الكون محكوم بقوانين الفيزياء، وليس من خلال قوة الإله، فقتل الفلاسفة الإله من خلال رؤيتهم الواسعة للكون، والنظريات العلمية الحديثة، وتصاعد العلمانية في أوروبا، وعليه فقد رأى " نيتشه " أن أوروبا لا تحتاج إلهًا ليكون مصدرًا لأي شيء سواءٌ أكان في جانب المعرفة، أم الأخلاق، أم القيمة، أم حتى الإيجاب، وأن الفلاسفة والعلماء سيؤدون هذا الدور للبشرية فى الوقت المعاصر [(١)].

وقد أكد كثير من الباحثين والمفكرين المعاصرين أن فلسفة " نيتشه " الإلحادية قد أتت كلحظة مفصلية في تاريخ الفلسفة الغربية بصفة عامة، وفى تاريخ الإلحاد الغربي بصفة خاصة، باعتبارها تنوير للفلسفة المعاصرة، وتلويح بتباشير مستقبلية تحملها نبوءات " زرادشت " العارف بالمستقبل، ولكن هذا "

---

(١) انظر : الفلسفة الألمانية: مقدمة قصيرة جدًا : اندرو بووي، ترجمة : محمد عبد الرحمن سلامة، مراجعة هبة عبد المولى، ص ٧٢ وما بعدها، مؤسسة هنداوي، ط أولى ٢٠١٥م.

الزرداشت " الذي يرافع للمستقبل أهميته هنا، وكما يعتقد " نيتشه " تكمن في تجاوزه للواقع مع التماهي معه، فزرداشت الذي يتكلم باسمه هو إنسان المستقبل، أو الإنسان الموعود به، لا على الطريقة الأخلاقية، أو الموعظة الدينية بطبيعة الحال، وإنما هو نبي الحياة، لكنه أيضًا مهندس المشاريع الكبرى، إنه غواية القدر، إنه اللعب الذي يدمج فيه الماضي والحاضر، ويعلن عن ميلاد المستقبل، إنه اللاعب الذي يهاب المخاطرة، ولكن لا يستنكف عن الاستمرار فيها، إنه التجاوز أو الطفل الذي يظهر على أنقاض الأسد الذي يمزق الجمل في الصحراء على حسب زعم " نيتشه "[1] .

هذا والجدير بالذكر أنه قد حددت الثقافة الغربية الحديثة والمعاصرة مفهوم الإلحاد الجذري الأيديولوجي المعاصر بأنه الرفض القاطع والتام لوجود الله، وقد كان الفيلسوف الألماني « فيورباخ » أول من أسس لهذه المنظومة الفكرية الإلحادية، التى ترى أن فكرة الله ليست سوى إسقاط – في عالم مثالي – لقيم الصلاح والحقيقة والعدالة، التي يبحث عنها الإنسان من دون كلل، ومن دون أن يجدها في حياته، ولاحتمال هذه الكينونة البائسة انسحق الإنسان أمام إله من صنع عقله الخاص، أما عندما جاء من بعده "ماركس "، و" نيتشه "، و"سيجموند فرويد"، الذين أدعوا " أسياد الشك " لإكمال المسيرة الإلحادية في الخط عينه، كتب هؤلاء الفلاسفة الثلاثة ـ انطلاقًا من محاور مختلفة ـ عن

---

(١) انظر: نيتشه وسؤال إنسان المستقبل : عبد المالك عبادي، ص ٣٤١، ٣٤٢، محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه : صفاء عبد المنعم ص ٢٤٣، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠١١م.

ضرورة تحرير الإنسان من الانسحاق الوجودي المخيف، فلكي يصبح الإنسان إنسانًا يجب عليه أن يكون مستقلاً من كل جرى وراء إعانات إلهية وهمية، لمواجهة الواقع، وبناء عالم لكل إنسان، وللإنسان فقط، وفي عالم عالموي وبمواجهة إشكالية البحث عن معنى الحياة، وضع كثيرون مقاييس عملية مرتكزة على المادة، ومستنتجة من المادة لوجود الله وحضوره، فمثلاً أعلن البعض أن الإنسان هو ثمرة الصدفة والضرورة، فقط لا غير، ومن هنا نستنبط إعلانًا صريحًا لإلحاد قاسٍ فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة(١).

يقول د. عبد الوهاب المسيري : إن " نيتشه " ابن " داروين " وشقيق " بسمارك " على حد قول " جون ديوي " قد أنجز للفلسفة الغربية ما عجز عنه السابقون عليه، حيث طور رؤية معرفية علمانية إمبريالية لا ينقصها سوى الجيوش والدبابات، وتعود أهميته الحقة إلى أنه ساعد على استكمال الطفرة الإلحادية الفلسفية التي سيتحقق من خلالها النموذج العلماني المادي المتكامل، ويتعين وتبلور، فأسس فلسفته تنطلق من كثير من المقولات الكامنة العدمية للرؤية المادية، حيث أطلق عبارته الشهيرة: " لقد مات الإله "، ثم بذل قصارى جهده في أن يطهر العالم من أي ظلال يكون قد تركها الإله على الأرض بعد موته، ويمكننا أن نتجاوز المضمون الديني الإلحادي المباشر لهذه العبارة لنحدد مضمونها، ومن ثم تضميناتها المعرفية التي لا تشمل الإله وحسب، بل وتشمل الإنسان، والكون، ويساعد " هيدجر " في هذا حيث يقول : إن الإله بالنسبة لـ "

(١) انظر : قال نيتشه : «مات الله» قلت: حقا! إنما قام» : كوني هاشم، ص ٤، المكتبة البولسية، لبنان، ٢٠٠٧م.

نيتشه " هو : العالم المتسامي، العالم الذي يتجاوز عالمنا الحقيقي " عالم الحواس " الإله هو اسم عالم الأفكار المثاليات، والمطلقات، والكليات، والثوابت، والقيم الأخلاقية، التى لا يعتد بها " نيتشه " ولا يقررها [١] .

والغريب في الأمر أن إله " نيتشه " الذى وصفه " هيدجر " لم يكن موجودًا من قبل، من وجهة نظر " نيتشه "ولم يوجد إلى الوقت الذي يعيش فيه، مما يدعو إلى القول بأن إله " نيتشه "يتمثل في " الإنسان الأعلى " أو " السوبر مان " الذي يحطم كل القيود ويفك جميع الأغلال من العالم والبشرية، إلا أنه لم يوجد بعد أيضًا، وأن " نيتشه " لا يألوا جهداً فى صنعه، وبهذه الفكرة المتطرفة يكون " نيتشه " قد استنزل الإله من السماء إلى الأرض في صورة « السوبرمان » ، وجعله إنسانًا يُكوَّن، ويربي، ويرقى إلى أن يصل إلى الغاية، مع اعتقاده في نفس الوقت أن « السوبرمان » أرضي، مادي، ملحد»[٢] .

يقول " نيتشه " متهكماً على حقيقة الإله، ومؤكداً نزعته الإلحادية التى تغذى عليها الإلحاد المعاصر: الإله العالم بكل شيء، والقادر على كل شيء، ولا يحرص على أن تكون نواياه واضحة لمخلوقاته هل يكون إلها طيباً ؟ الإله الذي ترك ما لا يحصى من الشك والحيرة موجوداً خلال آلاف السنين، وكأن ذلك الشك وتلك الحيرة ليست لهما أية أهمية بالنسبة لخلاص الإنسانية، ومع

---

(١) انظر : نيتشه فيلسوف العلمانية الأكبر : د.عبد الوهاب المسيري، ص ١١٣، الناشر : عبد الصمد بلكبير، مجلة الملتقى، عدد (١٦)، مايو ٢٠٠٧م.

(٢) انظر : فيض الخاطر : د. أحمد أمين ١٢٨/٥ .

ذلك يعدنا بأوخم العواقب إذا نحن أخطأنا بشأن الحقيقة؟ ألن يكون إلهاً قاسياً لو أنه يملك الحقيقة، ومع ذلك يتفرج على الإنسانية وهي تتعذب من أجل تلك الحقيقة؟ – أم قد يكون رغم كل ذلك إله المحبة – ولكنه لا يستطيع التعبير عن ذلك بوضوح، أم إنه لا يملك المزاج لفعل ذلك ؟ ام تعوزه الفصاحة؟ وهذا أدهى وأمر! لأنه حينها سيكون قد أخطأ بخصوص ما يسميه حقيقته، ويبدو أشبه كثيراً بشيطان مخدوع ! ألن يكون عليه حينها تحمل أشد العذاب حين يرى مخلوقاته تتعذب، بل تتعذب ردحاً طويلاً من الزمن، سعياً لمعرفته، وهو لا يستطيع أن ينجدها أو يقدم لها النصيحة، إلا كأصم أبكم يحاول التعبير بمختلف أشكال الإشارات غير المفهومة، وقد داهم طفله أو كلبه خطر كبير؟ والمؤمن الذي يجد نفسه في ضيق ويفكر بهذا الشكل سيكون معذوراً إن هو أبدى الشفقة على الإله الذي يعاني أكثر مما يبديها على القريب – لأنه يكف عن أن يكون قريبه إن كان الكائن الأكثر وحدة وأصالة هو أكثر الكائنات معاناة، وهو من يحتاج أكثر للمواساة، كل الديانات تتضمن ما يدل على أنها نتاج عقل إنساني شاب لم يبلغ مرحلة النضج بعد – فهي تتحدث كثيراً بلا روية عن ضرورة قول الحقيقة: إنها لا تعرف شيئاً بعد عن الواجب الرباني الذي هو التجلي للناس بوضوح وصدق، لا أحد تحدث ببلاغة مثل " باسكال" عن « الإله الخفي » وعن الأسباب التي تجعله يظل خفياً، ولا يقول الأشياء دائماً إلا بشكل جزئي، وهو ما يدل على أن " باسكال " لم يطمئن أبداً بهذا

الخصوص: ولكنه يتحدث بثقة كبيرة حتى لنظنه قد تواجد في الكواليس صدفة، كان يعتقد في خلود « الإله الخفى »، ولكنه شعر بالخوف والخجل من الاعتراف لنفسه بذلك: لذلك كان يتكلم بأعلى صوته كالخائف.!! (١)

ومن خلال ما سبق يمكن القول إن فلسفة «نيتشه» الإلحادية في كل اتجاهاتها كانت تغذي الأفكار التالية فى الإلحاد المعاصر :

١ – نهاية فكرة الإله المتجاوز، والمفارق للمادة، المجاوز للطبيعة، والتاريخ الذي يمنح الكون تماسكًا وهدفًا نهائيًا، أي نهاية فكرة المركز الكائن خارج المادة، فهي حلولية كمونية كاملة .

٢ – إنكار وجود أي حقيقة ثابتة متجاوزة لعالم التجربة المادية المباشرة، وعالم الصيرورة .

٣ –إنكار فكرة الكل ذاتها باعتبارها كيانًا متماسكًا يعلو على الأشياء، أي إنكار فكرة المركز الكامن في المادة، ومن ثم إنكار ما خلفها من قوة عاقلة، أو مدبرة .

٤ – العالم أجزاء لا تشكل كلاً، ولا مركز لها، وهذا يعني بالضرورة إنكار فكرة الكل، والعالمي، والإنساني بشكل عام .

٦ – وفى النهاية كل هذا يعني أيضًا نهاية الميتافيزيقا، بل ونهاية فكرة الحقيقة، فالقضاء على بقايا الميتافيزيقا في الحديث عن الكل المتجاوز أدى إلى القضاء على الحقيقة.

---

(١) انظر: كتاب الفجر: فردريك نيتشه: ترجمة: محمد الناجي، ص٦٨.

وانطلاقًا من هذا، أعلن «نيتشه» صراحة فى فلسفته المعاصرة الملحدة أن الإيمان السائد هو الذى يعنى أن العقل الإنساني قادر على التواصل إلى علم يستطيع أن يزوده بمعرفة يقينية، وأنساق أخلاقية، أي أن بوسع العلم، والعقل أن يحلا محل الدين(١) .

لأن الدين في نظر «نيتشه» يسعى ككل إلى الانحطاط بالقدرة التي يملكها الإنسان، والثقة الكاملة، والقوة التي في داخله، فهو لا يساعد في زيادة الثقة، ودعمها هذا علاوة على أنه لا يعط الإنسان الصلاحية الكبرى في التفكير، والإبداع وهذا على العكس من العقائد اليونانية التي كانت في نظره أرفع وأسمى من الدين السماوي، لأنها تعطي للإنسان القدر الكافي من الحرية، ولم تقف وتعترض على قوة الطبيعة، وأما الديانات السماوية فكانت على العكس من ذلك تمامًا، فقد حجمت من قدرة العقل، وجعلته ثانويًا في مقابل وجود وقوة أعلى منه(٢) .

وبهذا يكون «نيتشه» قد استبدل دينه وعقيدته بعقيدة وثنية بحجة أن عقيدته لا تعطيه الحرية الكاملة في التفكير والإبداع، في حين أن عقائد اليونان تقرر له هذا الحق، وتكفله بدون قيد أو شرط .

وهذا ليس غريباً لأن " نيتشه "كان من رواد الفلسفة الوجودية المعاصرة الملحدة، وسبق إلى التعبير عن خصائصها، ونشرها فى العالم الغربي، حين هاجم القيم المعروفة التي فرضتها سلطة عليا إنسانية كانت أو إلهية، وأرجع

(١) انظر: نيتشه فيلسوف العلمانية الأكبر: د. عبد الوهاب المسيري ص ١١٣– ١١٤ .

(٢) انظر : نقد المركزيات في فلسفة نيتشه : ريام محمد ظاهر، ص ٦١٨ وما بعدها .

القيم كلها إلى الإنسان فأكد النزعة الفردية، ووطد الحرية المطلقة، وناصر الذاتية، وحقر من موضوعية البحث عن الحقيقة، وربط بين الفلسفة والحياة، فأصبحت الحقيقة إنسانية نسبية متغيرة، وليست ميتافيزيقية، لأنه لا مكان للتعقل، أو الدين عند " نيتشه " [١].

يقول جيمس كولنز: من قلم فردريك " نيتشه "جاءت دفعة قوية نحو استحسان الإلحاد بوصفه أنبل عقيدة إنسانية، وكان " نيتشه " أشبه بالقناة المصطخبة المياه التي نقلت إلى عصرنا النتائج الإلحادية لتيارات جديدة في علم القرن التاسع عشر وثقافته، فلقد أقنع تفسير الجناح الملحد من الوجودية بأن هذا العالم يخلو من كل إله، كما دفع الوجود بين الآخرين إلى التزام أشد أنواع الحذر – على أقل تقدير – فى أحكامهم الفلسفية عن الله، وامتد تأثيره في هذه المسألة إلى ما وراء الأوساط الفلسفية المحترفة، وتأثيره يشبه بالضبط التأثير الذي أحدثه هجوم " ماركس " على الله، وعلى الدين[٢] .

ويقول بولس سلامة : إن هذا الرجل العجيب حاول هدم الله، وفتح الطريق لمن تلاه، من الملحدين المعاصرين، وقد كان هذا الهدم المزعوم نتيجة محتومة لإعلان موت الله، فقد اعتبر « فردريك نيتشه » أن الإيمان بوجود إله تحقير للحياة الحقيقية الواقعية، وإزراء بهذا العالم، وفرار منه، ومن خطر المهمات الملقاة على عاتق الإنسان فيه نظرًا للممكنات التي لا تحد، والتي تتخذ أساسًا لها الإرادة الخلاقة، والإرادة الخلاقة لا حد لها إلا من نفسها[٣] .

---

(١) انظر: فردريك نيتشه نبي فلسفة القوة : كامل محمد محمد عويضة ص ٩١ وما بعدها .

(٢) الله في الفلسفة الحديثة: جيمس كولنينر، ترجمة : فؤاد كامل، ص ٣٦١ .

(٣) انظر: الصراع في الوجود : بولس سلامة، ص ٢١٤ .

والجدير بالذكر أن " نيتشه " كان مدركًا تماماً لعواقب إعلان إلحاده الصادم الذي أحدث زلزالًا في جميع أنحاء أوروبا، وما يزال تأثيره مستمرًّا حتى اليوم بعد أكثر من مائة عام، حيث يقول في كتابه: "غسق الأصنام" :عندما يتخلى الشخص عن الإيمان بالديانات، فإنه يتخلى عن قيمها الأخلاقية، فهذه الأخلاق ليست قائمة بذاتها، لأن الدين نظام متكامل، ورؤية كاملة للأشياء مرتبطة ببعضها، فعندما تهدم مبدأً أساسيًّا فيها، وهو الإيمان بالإله، فإنه كفيل بهدم النظام كله، لكنه مع ذلك يضيف أن هذا ليس شيئًا سيئًا بالكامل، فعندما نسمع أخبار موت الإله، فإننا، نحن الفلاسفة والأرواح الحرة، نشعر بأننا مضاؤون بنور الفجر الجديد.(١)

فنزعة «نيتشه» الفردية التى عززت الإلحاد المعاصر، وقوته كانت تؤكد في كل خطواتها إنكارها لوجود الإله، وعلوه بنزعته الفردية الملحدة، والمتطرفة على كل شيء، وهذا ليس غريبًا على شخصية دائمة التناقض لا تتروى، ولا تبرم أمرًا محددًا، هذا علاوة على سمة الكبرياء التي وصف بها، والتي أوقعته في كل رزيلة، فنيتشه هو الذى قال عنه " هنري موريس" : أما فلسفة نيتشه فقد أثرت بعمق في اتجاهات السياسة الألمانية حتى أصحبت أساس القوة الحربية الألمانية المكثفة التي حشدتها في فترة الثلاثينيات من هذا القرن، وكانت سببًا من أسباب الحرب العالمية الثانية.(٢)

---

(١) انظر: نحن من قتلنا الإله: فردريك نيتشه: موقع منشور: ٢٠١٨/١٠/١٣م.

(٢) انظر: رحلة إلى قلب الإلحاد، الإلحاد بذار ورجال: حلمى يعقوب، ج١، ص ١٤٧، الكتاب المقدس ونظريات العلم الحديث: هنرى م. موريس: ترجمة: نظير عريان ميلاد، ص٥٩، مكتبة المحبة.

هذا وقد أكد أيضاً " برتراند رسل " أن فلسفة " نيتشه " التى تدعو للإستعلاء، والعنف والقسوة كانت وراء الفاشية، والنازية الألمانية، والإلحاد، وقد كان من أظهر ثمار فلسفة " نيتشه "الإلحادية " بونيتو موسوليني " الإيطالى مؤسس الفاشية، و" هتلر " مؤسس النازية، " فموسولينى " كان يقول: إن العلم قد أثبت أنه لا يوجد إله، وأنه إن كان الله موجوداً فليمتنى الآن، والحقيقة أن الدين مجرد مرض نفسي، وقد كان على نفس الدرب أيضاً مؤسس النازية " هتلر " الذى تأكد أنه كان تابعاً بالمطلق للمادية العلمانية التى دعت إليها نظرية الانتحاب الطبيعى، ونقل عنه البعض قوله: إن الدين يقف فى وجه قوانين الانتحاب الطبيعى، والبقاء للأصلح .[١]

يقول بولس سلامة : لا ريب في أن كبرياء «نيتشه» كان من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى انتكاسة فكره وجرته إلى كثير من النكبات، ألم يكتب إلى أمه، وهو بعد تلميذ رخص العود: لن يؤثر علي أحد، لأني لم أر حتى الآن من هو فوقي، وكتب إلى أخته إن كبريائي لتحول دون ظني بأن في وسع إنسان أن يحبني، لأن ذلك يوجب عليه أن يعرف من أنا، ولا أحسب أن في مقدوري التعلق بأحد، لأن ذلك يفترض أني لقيت إنسانًا في مرتبتي[٢].

كل هذا الاستعلاء، وكل هذه النزعة الفردية المتطرفة جعلت «نيتشه» يخرج من عباءة الدين والإيمان، ويظن نفسه وجد بغير موجد، أو خالق، ولا عجب

---

(١) انظر: رحلة إلى قلب الإلحاد، الإلحاد بذار ورجال: حلمى يعقوب، ج١، ص ١٤٨، هتلر الدارويني الأخطر: موقع: اندبندنت عربية، السبت ٣ ديسمبر ٢٠٢٢م.

(٢) الصراع في الوجود : بولس سلامة، ص ١٨٥.

في أن هذه النزعة الاستعلائية هي التي أخرجت «نيتشه» من حظيرة الإيمان، وسارت به في غيابات الضلال والإلحاد، فإبليس الذي كان من عِلية الملائكة، وخاصتهم قد انحدر إلى أسفل الدرجات والدركات بسبب كبره وتعنته، وعصيانه لأوامر الله، مما يؤكد أن المنهج واحد، وأن المصير أيضًا واحد.

✍ الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا نهتدي لولا أن هدانا الله، وأصلي وأسلم على أشرف مخلوق، وأكرم مولود محمد (ﷺ) ... وبعد.

فإنه من خلال البحث في ثنايا هذا الموضوع :{ النزعة الفردية في فلسفة نيتشه وأثرها فى الإلحاد المعاصر] عرض ونقد، يمكن صياغة بعض النتائج والتوصيات التي انتهيت إليها من خلال معالجتي لهذا البحث على النحو التالي:

أولاً : نتائج البحث :

١- إن فكرة النزعة الفردية المتطرفة فى الدين، والأخلاق، والفن، والسياسة كانت من أهم المبادئ والأسس التي قامت عليه الفلسفة الحديثة، والمعاصرة في الفكر الغربي .

٢- إن النزعة الفردية قد أتخذت اتجاهين في الفكر الإنساني ـ بصفة عامة ـ أحدهما: سلبي، والثاني: إيجابي، أما الاتجاه السلبي فتمثل في طغيان الفردية، والذاتية، والأنانية على الفكر، ومحاولة رد كل المفاهيم والمبادئ إلى الإنسان، مع نبذ الدين، والنظم الاجتماعية، والجوانب الأخلاقية من الحسابات الفردية سواءً أكانت صحيحة أم لا، أما الجانب الإيجابي من النزعة الفردية فتمثل في الدعوة إلى إعلاء قيمة الإنسان، ومكانته، على جميع الموجودات الحادثة، مع عدم التصادم مع الدين، أو النظم الاجتماعية، والأخلاقية الصحيحة، وعليه فهو بناءٌ لا هدم .

٣- إن النزعة الفردية التي اكتنفت فكر «نيتشه » وفلسفته، كانت نزعة سلبية تهدف إلى القضاء على الدين، والنظم الاجتماعية، والأخلاقية منذ أن وجد الإنسان، وحتى اللحظة الراهنة التي كان يعيش فيها «نيتشه» .

٤- إن فلسفة «نيتشه» – بصفة عامة – كانت تقوم على رفات بعض الفلسفات، والتيارات الملحدة والضالة، كالوجوبية، والمادية، والليبرالية، والحداثة الغربية الثائرة على الكون بأسره، والتى كانت سبباً فى انتشار الإلحاد المعاصر بصورة كبيرة.

٥- إن « نيتشه » قد تأثر في فكرة الوجود الإنساني بـ " الدارونية " وحاول أن يبرهن على أن أصل الإنسان ليس بشريًا، وإنما هو نتاج التطور الطبيعي البحت، ولا أثر في وجوده لقوة إلهية علوية .

٦- من خلال قول «نيتشه» بالتطور الإنساني توصل إلى فكرة هلامية وخرافية تسمى بـ «الإنسان الأعلى» أو « السوبرمان» الذي ليس له وجود، ولن يوجد، إلا أن وجوده سيقهر الكون بأسره، ويهيمن عليه، ولن يوقفه بشر أو إله، حسبما يزعم «نيتشه».

٧- إن العالم الحقيقي والجدير بالثقة أو الوجود عند «نيتشه» هو العالم الحسي المادي، وما سوى ذلك من الميتافيزيقا والمكونات العقلية، فهو عالم كاذب، ولا يمكن الثقة به، أو الاعتراف بوجوده، ويجب إنكاره، وهدمه .

٨- إن " نيتشه " قد أعلن صراحة وبدون مواراة أو شك أن الدين خرافة، وأن الإله قد مات في مقابل «الإنسان الأعلى » أو .السوبر مان» الذي نصَّبه على عرش الكون، أو الوجود .

٩- إن نزعة «نيتشه» الفردية المتطرفة لم تتناول إنكار الدين، والإله فقط، بل ثارت على الجوانب الأخلاقية، والقيم والمثل السائدة في المجتمع، وحاولت أن تنكرها، مع إقرار أخلاق، وقيم، ومثل نسبية، ونفعية، ومادية، تتناسب مع فكره، وفلسفته الضالة، وتغذى الإلحاد المعاصر فى نفس الوقت.

١٠- إنه على الرغم من فساد فكر وفلسفة «نيتشه» وطغيان النزعة الفردية الإلحادية المتطرفة عليها، إلا أن بعض المثقفين ساروا خلفه، وأيدوه تحت مسمى الثورة على الأنظمة القديمة، والدعوة إلى الحداثة، والتحرر من العبودية.

١١- إن بعض الباحثين ـ شرقًا وغربًا ـ حاولوا أن يؤولوا أقوال «نيتشه» وأفكاره ـ التى تغذى الإلحاد المعاصر وتقويه ـ ويصرفوها عن ظاهرها، ويلتمسوا لها المبررات، إلا أن هذا التأويل لم يفلح، لأن دعوة الإلحاد عنده كانت صريحة، وواضحة في أقواله وآرائه، وأجمع عليها أكثر المفكرين والباحثين.

١٢- إن أثر فلسفة «نيتشه» المتطرفة، وفكره المنحرف، لم يقتصر على وقته وزمانه الذى عاش فيه فقط، بل جال الزمان والمكان، وتخطى الحواجز والعوالم، حتى وصل إلى اللحظة الراهنة التى نعيش فيها، لدرجة أننا نجد بعض الشباب والباحثين المتحررين، والملحدين ـ شرقاً وغرباً ـ يقتبسون من أقواله وأفكاره الشاذة، ويعرضونها على صفحات المواقع الإلكترونية، ويشيدون بها وبأهميتها على اعتبار أنها مسلمات عقلية صحيحة، ولا تقبل الشك.

ثانيًا : أهم التوصيات :

١- تكثيف الدراسات التحليلية والنقدية حول الفكر الغربي الحديث والمعاصر، ومحاولة بيان عواره وسلبياته، خاصة وأنه قد تصدر إلى العالم العربي والإسلامي في هذه الآونة الأخيرة بصورة كبيرة، وافتتن به الكثيرون من العامة والمفكرين، وأصبحوا يرددونه، ويقتدوا به في أقوالهم، وأفعالهم تحت مسمى الحرية الفكرية والشخصية، والثورة على النظم والثوابت القديمة .

٢- ترجمة جميع الدراسات التي تناولت الفكر الغربي بالدراسة والنقد، إلى كل لغات العالم، كي يقف عليها، وعلى عوارها جميع شعوب العالم، وخاصة المسلمون، الذين لا يجيدون اللغة العربية، كي يتأكد دينهم، وإيمانهم ويقوى بهذه الدراسات .

٣- تطبيق ما يسمى بالتخصص الدقيق في جامعة الأزهر، وخاصة في قسم العقيدة والفلسفة، وذلك عن طريق تكليف بعض الباحثين المؤهلين علميًا وثقافيًا ـ وخاصة المحبين للدراسات الفلسفية ـ بتناول الفكر الغربي القديم، والوسيط، والمعاصر، بالتحليل والدراسة والنقد، وذلك لأن قسم العقيدة في جامعة الأزهر متشعب العلوم والأفكار، وأكثر الباحثين ينفرون من الدراسات الفلسفية ـ وخاصة الفلسفة الغربية ـ فلو قامت الجامعة بتخصيص بعض الباحثين لدراسة الفكر الفلسفي الغربي فقط، لكانت الفائدة أعم وأعمق .

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم : جلَّ من أنزله .

- **الأخلاق النظرية** : د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط. أولى ١٩٧٥م.
- **الأخلاق عند نيتشه** : حامد خليل، جامعة دمشق، كلية الآداب ٢٠٠٧م.
- **إذًا ما هو الإنسان الأعلى؟** : نادر ابا زيد، موقع معابر، الشبكة العالمية، الإنترنت.
- **إرادة القوة : فردريك نيتشه** : محاولة لقلب كل القيم : ترجمة وتقديم: محمد الناجي، دار أفريقيا الشرق – المغرب ٢٠١١م.
- **أصل الأخلاق وفصلها** : فردريك نيتشه، ترجمة : حسن قبيسي، منتدى سور الأزبكية
- **أعلام الفكر الحديث** : د/ صلاح السيد بيومي، دار امعارف، ٢٠١٥م.
- **تاريخ الفلسفة الحديثة** : يوسف كرم، دار المعارف، ط. خامسة.
- **التعريفات:** للجرجاني، تحقيق : إبراهيم الإيباري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط، أولى ١٤٠٥هـ .
- **جنيالوجيا الأخلاق : فردريك نيتشه،** ترجمة : فتحي المسكين، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط أولى ٢٠١٠م.
- **جنيالوجيا الأخلاق عند نيتشه** : عبد الله مصطفى، غريب مختار، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عدد (٤) أكتوبر ٢٠١٦م، مركز جيل البحث العلمي.

- **جينيالوجا الأخلاق في فلسفة فردريك نيتشه** : محمد حجاوي، مجلة مقاربات عدد (٤) عام ٢٠٠٩م، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل .
- **حدود الليبرالية، التراث، والنزعة الفردية، وأزمة الحرية:** مارك ت . ميشيل، ترجمة : محمد عبده أبو العلا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،ط، أولى، بيروت ٢٠٢٤م.
- **خلاصة الفكر الأوروبي نيتشه** : د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط. خامسة ١٩٧٥م.
- **دراسات في الفلسفة المعاصرة** : د. زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، ١٩٦٨م.
- **الدين والعلمانية في سياق تاريخي** : عزمي بشترة، الجزء الثاني، المجلد الأول، **العلمانية والعلمنة : الصيرورة الفكرية**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ٢٠١٤م.
- **الرغبة في التحكم بالإله، نيتشه والتاريخ** : د. ياسين أقطاعي ٢٠٢٠/١٢/٢٥م.
- **زرادشت نيتشه**، بيار هيبرسوفرين : ترجمة : أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان ١٩٩٤م.
- **الشجاعة من أجل الوجود** : د/ بول تلش، ترجمة : كامل يوسف، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط ثانية ١٩٨٧م.
- **الصراع في الوجود** : بولس سلامة، ط. دار المعارف، مصر.
- **العود الأبدي إلى الأصول والصراع بين الأسطورة والتاريخ** : د. خزعل

الماجدي، منشورات : تكوين للنشر والتوزيع، الكويت،ط. ثانية.

- **الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر** : د. حسن الكحلاني، الناشر : مكتبة مدبولي ٢٠٠٤م.
- **فردريك نيتشه – نبي الفلسفة والقوة** : كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان ١٩٩٣م.
- **فلسفة الأخلاق عند نيتشه** : يسري إبراهيم، دار التنوير، لبنان ٢٠٠٧م.
- الفلسفة الألمانية : مقدمة قصيرة جدًا : اندرو بودي، ترجمة : محمد عبد الرحمن سلامة، مراجع هبة عبد المولى، مؤسسة هنداوي ط أولى ٢٠١٥م.
- **فلسفة الحضارة الإسلامية الرواية الغزالية** : د. مشهد العلاف، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ٢٠١٣م.
- **الفلسفة الشريدة** : فتحي التريكي، مركز الإنماء الوطني، بيروت .
- **فلسفة القوة بين المتنبئ ونيتشه** : د . حامد طاهر، الناشر : رابطة الأدب الحديث يونيو ٢٠١٤م.
- **الفلسفة أنواعها ومشكلاتها** : هنتر ميد، ترجمة : د. فؤاد كامل، دار نهضة مصر للطبع والنشر،ط. الثانية ١٩٧٥م.
- **فلسفة وروائع فردريك انيتشه في المعنى الحقيقي** / نقلاً عن الموقع الإلكتروني موقعك للتنمية العقلية، والشخصية، والمهنية، **ماركس ضد نيتشه الطريق إلى ما بعد الحداثة** محمد دوير ط ٢٠٢٠م.
- فيض **الخاطر** : د. أحمد امين، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر .

- **قال نيتشه : « مات الله» قلت : حقًا !** إنما قام : كوني هاشم، المكتبة البولسية لبنان، ٢٠٠٧م.
- **قراءة في كتابات هيرمان هيش** : محمد محمود يوسف ط ٢٠١٢م الناشر : Author House.
- **قصة الفلسفة الحديثة** : أحمد أمين، زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٥هـ – ١٩٣٦م.
- **قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي** : ول ديورانت، ترجمة : د. فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط. سادسة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- **كيف نشأت النزعة الإنسانية في الفكر الأوروبي** ؟ موقع صحيفة الشرق الأوسط هاشم صالح ٢٠١٥/١٢/١٤م.
- **لسان العرب** : جمال الدين بن منظور، دار صادر بيروت ط ٢٠٠٠م.
- **الله في الفلسفة الحديثة** : جيمس كولينز : ترجمة : فؤاد كامل، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ١٩٧٣م.
- **ماركس ضد نيتشه الطريق إلى ما بعد الحداثة** : محمد دوير ط ٢٠٢٠م.
- **محاولة جديدة لقراءة فردريك نيتشه** : صفاء عبد السلام جعفر، دار المعرفة الجامعية القاهرة ١٩٩٩م.
- **محاولة جديدة لقراءة فردريك نيتشه** : صفاء عبد المنعم دار المعرفة الجامعية، مصر ٢٠١١م.

- **مراجعات في فلسفة الفردانية** : د. عبد الله الزازان مقالة في جريدة الرياض المملكة العربية السعودية ٢٧ ذو القعدة ١٤٤٤هـ – ١٦ يونيو ٢٠٢٣م.
- **المساءلة النقدية لمفهوم الميتافيزيقا في فضاء اللغة عند مارتن هايدجر** : بشير ريوح المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط ٢٠٢٠م.
- **المعجم الفلسفي** : د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان ط ١٩٨٢م.
- **المعجم الفلسفي : مجمع اللغة العربية** : الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية القاهرة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
- **المعرفة والارتياب، المسألة الارتيابية لقيمة المعرفة عند نيتشه وامتدادها في الفكر الفلسفي المعاصر** : عبد الرازق بلعقروز، دار المنهل ٢٠١٣م.
- **مفهوم الإنسان عند نيتشه** : خمري رضا، ثقافة القطيع والإنسان المتفوق عند نيتشه بقلم : أنصار الفلسفة، موقع SIBA٢٠١٩/١٢/١٣م.
- **مفهوم النزعة الإنسانية** : إلهام سرحان، موقع : موضوع ١٧ مايو ٢٠١٧م.
- **مقالة عود على النزعة الفردية في شعبنا** : أنطون سعادة، جريدة الزوبعة، أغسطس ١٩٤٢م.
- **موسوعة تاريخ الفلسفة الحديثة** : إميل برهيبه، ترجمة : جورج طرابيشي دار الطليعة، بيروت .

- **النباهة والاستحمار** : علي شرعتي، ترجمة : هدى السيد ياسين، تحقيق : عبد الرازق الحيران، دار الأمير للثقافة والعلوم، ط، أولى ١٤٢٥م.
- **نحن من قتلنا الإله : هكذا تكلم نيتشه** : موقع : منشور ٢٠١٨/١٠/٣١م.
- **النزعة الفردية : الجزء الثاني** : حدر حاج إسماعيل، مجلة : صباح الخير، البناء ٧ نوفمبر ٢٠٢٢م.
- **نظرية القيمة في فكر نيتشه** : د. محمد الشيخ الشركة العربية للأبحاث والنشر، ط، أولى ٢٠٠٨م.
- **نقد المركزيات في فلسفة نيتشه** : ريام محمد ظاهر، علي عبود المحمداوي، مجلة الآداب، جامعة بغداد، كلية الآداب، العدد ١٣٧، ملحق (٢) شهر حزيران – يوليو ١٤٤٢هـ – ٢٠٢١م.
- **نيتشه** : د. فؤاد زكريا، دار المعارف مصر، ط. ثانيةز
- **نيتشه** : د. مصطفى غالب، دار مكتبة الهلال بيروت ١٩٨٨م.
- **نيتشه فيلسوف العلمانية الأكبر المؤلف الرئيس** : د. عبد الوهاب المسيري، الناشر : عبد الصمد بلكبير، مجلة الملتقى، العدد ١٦، مايو ٢٠٠٧م.
- **نيتشه مكافحًا ضد عصره** : رودلف شتاتنير، ترجمة : حسن صقر، دار الحصاد سوريا ١٩٩٨م.
- **نيتشه نبي المتفوق** : يوحنا قمير، بيروت، منشورات دار دمشق ١٩٨٦م.

- **نيتشه والفلسفة** : جيل دولوز، ترجمة : أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٩٣م.
- **نيتشه وجذور ما بعد الحداثة** : د. أحمد عبد الحليم عطية، دار الفارابي – بيروت، لبنان، ط. أولى ٢٠١٠م.
- **نيتشه وسؤال إنسان المستقبل** : عبد المالك عبادي مجلة الباحث، الملجد السادس، العدد الثاني عشر ٢٠١٤م.
- **نيتشه** : لورانس جين، كني شين، ترجمة : إمام عبد الفتاح، المجلس الأعلى للثقافة والنشر – القاهرة ٢٠٠٢م.
- **هذا الإنسان** : فردريك نيتشه : ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار هلا للنشر والتوزيع، الجيزة ط، أولى ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
- **هذا هو الإنسان** : فردريك نيتشه، ترجمة : علي مصباح، منشورات الجمل .
- **هكذا تكلم زرداشت** : فردريك نيتشه، ترجمة : علي مصباح، منشورات الجمل، ط أولى ٢٠٠٧م.
- **هكذا تكلم زرداشت** : فردريك نيتشه: ترجمة: فليكس فارس، مطبعة البصير، الإسكندرية ١٩٣٨م.
- **هكذا تكلم رزداشت** فردريك نيتشه، ترجمة: محمد الناجي، الدار البيضاء أفريقيا الشرق ٢٠٠٨م.

SOURCE AND REFERENCES

The Holy Qur'an : the one who sent it down .

Theoretical ethics: Dr. Abdul Rahman Badawi, publications agency, Kuwait, I. First 1975.

The ethics of Nietzsche: Hamid Khalil, University of Damascus, Faculty of Arts, 2007.

So what is the highest human being : Nader abazaid, maaber website, World Wide Web, Internet .

The will of power: Friedrich Nietzsche: an attempt to overturn all values: translated and presented by: Mohamed El Nagy, Dar Afrika Sharq-Morocco 2011.

The origin of morality and its separation: Friedrich Nietzsche, translated by Hassan Qubaisi, sur Al-Azbakiya forum

The science of Modern Thought: Dr. Salah Elsayed Bayoumi, Dar emarif, 2015 .

The history of modern philosophy: Yusuf Karam, Maarif house, I. Fifth.

For definitions: for Al-jurjani, investigation: Ibrahim al-Ibari, House of scientific books-Beirut, I, first 1405 Ah.

The genealogy of morality: Friedrich Nietzsche, translated by Fathi El meskeen, National Translation Center, Tunis, I, 2010.

The genealogy of ethics at Nietzsche: Abdullah Mustafa, Gharib Mukhtar, the Journal of the generation of Humanities and Social Sciences, issue (4) October 2016, the generation Center for scientific research.

The genealogy of ethics in the philosophy of Friedrich Nietzsche: Mohammed hijjawi, maqarabat Magazine, Issue (4), 2009, maqarabat foundation for publishing, cultural industries and communication strategies.

The limits of liberalism, heritage, individualism, and the crisis of freedom: Mark T. Michel, translated by: Mohamed

Abdou Aboul Ela, Arab Center for research and Policy Studies, first floor, Beirut, 2024 .

Abstract of Nietzsche's European Thought: Dr. Abdul Rahman Badawi, publications agency, Kuwait, I. Fifth, 1975 .

Studies in contemporary philosophy: Dr. Zakaria Ibrahim, Egypt library, 1968.

Religion and secularism in a historical context : Azmi bishtra, Part II, volume I, secularism and secularization : the intellectual process, Arab Center for research and Policy Studies, 2014 .

On the desire to control God, Nietzsche and history: Dr. Yassin aktaoui 25/12/2020.

The life of Zarathustra Nietzsche, Pierre hypersofren: translated by Osama El-Haj, University Foundation for studies and publishing, Lebanon, 1994 .

The courage to exist: Dr. Paul telch, translated by: Kamel Youssef, University Foundation for studies and publishing, Beirut, II 1987 .

The conflict of existence: Paul Salama, I. Dar Al-Maarif, Egypt .

The eternal return to Origins and the conflict between myth and history : D. Khazal Al-Majdi, publications: takween publishing and distribution, Kuwait, I. Again.

The question of individualism in contemporary philosophical thought: D. Hassan al-Kahlani, publisher: Madbouly library, 2004 .

Friedrich Nietzsche – the prophet of philosophy and power : Kamel Mohamed Mohamed Aweida, House of scientific books – Beirut, Lebanon 1993.

The philosophy of ethics in Nietzsche: yessri Ibrahim, Dar Tanweer, Lebanon, 2007 .

About German philosophy: a very short introduction: Andrew bode, translated by: Mohamed Abdel Rahman Salama, references by Heba Abdel Moly, Hindawi foundation, I, 2015 .

The philosophy of Islamic civilization, the Ghazali novel: Dr. Mashhad Alaf, House of scientific books, Beirut-Lebanon 2013 .

About the philosophy of Shari'a: Fathi al-teriki, National Development Center, Beirut .

The philosophy of power between the Predictor and Nietzsche: Dr. Hamid Taher, publisher: modern literature association, June 2014 .

The philosophy of its types and problems: Hunter Mead, translation: D. Fouad Kamel, Nahdet Misr printing and publishing house, I. The second is 1975.

The philosophy and masterpieces of Friedrich Nietzsche in the true sense / quoting from the website your site for mental, personal, professional development, Marx vs. Nietzsche the path to postmodernism Muhammad Dwyer I 2020 .

In the right mind : Dr. Ahmed Amin, Hindawi printing and publishing establishment.

As Nietzsche said: "God is dead" I said: really ! He is the author of : Kony Hashem, the Polish library, Lebanon, 2007.

A page of reading in the writings of Hermann Hesch : Mohammed Mahmoud Youssef I 2012 publisher: Author House.

The story of modern philosophy: Ahmed Amin, Zaki Najib Mahmoud, the press of the committee of authorship, translation and publication 1355h - 1936g .

The story of Philosophy from Plato to John Dewey : W. L. Durant, translated by Dr. Fathallah Mohammed Al-mashashaa, library of knowledge, Beirut, I. Sixth 1408h - 1988g .

How did humanism arise in European thought Website of the Middle East Hashem Saleh newspaper 14/12/2015.

Arabic language: Jamal al-Din bin Manzoor, Sadr House, Beirut, 2000.

God in modern philosophy: James Collins: translation: Fouad Kamel, Franklin Foundation for printing and publishing, 1973 .

Marx vs Nietzsche: the path to postmodernism: Mohammed Dwyer I 2020.

A new attempt to read Friedrich Nietzsche: Safa Abdel Salam Jaafar, Cairo University House of knowledge, 1999 .

A new attempt to read Friedrich Nietzsche: Safa Abdel Moneim University Knowledge House, Egypt, 2011 .

Reviews in the philosophy of individualism : D. Abdullah Al-Zazan article in the newspaper Riyadh Kingdom of Saudi Arabia 27 Dhu al-Qa'da 1444 Ah-June 16, 2023 ad .

The critical accountability of the concept of metaphysics in the language space of Martin Heidegger : Bashir riouh Arab Center for research and Policy Studies, I 2020 .

The Philosophical Dictionary: Dr. Jamil Saliba, Lebanese Book House, Beirut, Lebanon, 1982.

Philosophical Dictionary: Arabic language Complex: General Authority for the affairs of the Amiri printing presses Cairo 1403h - 1983g .

The skeptical question of the value of Nietzsche's knowledge and its extension in contemporary philosophical thought : Abdelrazek belagrouz, Dar Al-Manhal, 2013 .

The concept of man according to Nietzsche : Khumri Reza, herd culture and the superior man according to Nietzsche by : supporters of philosophy, SIBA13/12/2019 website .

The concept of humanism : Ilham Sarhan, website: topic May 17, 2017 .

Article on individualism in our people: Anton Saade, the whirlwind newspaper, August 1942.

From the Encyclopedia of the history of modern philosophy: Emile berheiba, translated by George Tarabishi Dar Al-Talia, Beirut .

About gumption and masturbation : Ali Sharati, translation : Hoda Sayyid Yassin, investigation : Abdul Raziq al-Hiran, the Prince's House of culture and science, I, first 1425 ad.

It was we who killed God: this is how Nietzsche spoke: website: published 31/10/2018 .

About individualism part two: Hadar Haj Ismail, magazine: Good Morning, construction November 7, 2022 .

The theory of value in Nietzsche's thought: D. Mohammed Al-Sheikh Arab Company for research and publishing, I, early 2008 .

Criticism of centralities in Nietzsche's philosophy: Riam Mohammed Zaher, Ali Abboud al-Mohammadawi, Journal of literature, University of Baghdad, Faculty of Arts, issue 137, supplement (2) June – July 1442h - 2021g .

About Nietzsche: Dr. Fouad Zakaria, House of knowledge Egypt, I. Secondsg

About Nietzsche: Dr. Mustafa Ghaleb, Crescent library, Beirut, 1988.

About Nietzsche the great philosopher of secularism the main author: Dr. Abdul Wahab Al-Messiri, publisher: Abdul Samad belkabir, Al-Multaqa Magazine, Issue 16, May 2007 .

Nietzsche's struggle against his time: Rudolf Stettner, translated by Hassan Saqr, Harvest House, Syria, 1998 .

Nietzsche's prophet of excellence: Yohanna qamir, Beirut, Damascus house publications, 1986.

About Nietzsche and philosophy: Gilles Deleuze, translated by: Osama El-Haj, University Foundation for publishing and distribution, Beirut, 1993 .

The Nietzsche question and the roots of postmodernism: Dr. Ahmed Abdel Halim Atiya, Dar Al-Farabi-Beirut, Lebanon, I. First of 2010.

About Nietzsche and the question of the Future Man : Abdelmalek Ebadi, researcher magazine, sixth mosque, twelfth issue, 2014 .

About Nietzsche: Lawrence Jin, Kenny Shen, translated by: Imam Abdel Fattah, Supreme Council for Culture and publishing – Cairo 2002.

Friedrich Nietzsche: translated by Mujahid Abdel Moneim Mujahid, Hala publishing and distribution house, Giza I, first 1432 Ah - 2011 ad .

The meaning of this is man: Friedrich Nietzsche, translation: Ali Mesbah, camel publications .

This is how Zardasht spoke: Friedrich Nietzsche, translated by Ali Mesbah, camel publications, I, 2007 .

Friedrich Nietzsche: translation: Felix Fares, al-Basir press,Alexandria, 1938 .

This is how razdasht spoke by Friedrich Nietzsche, translated by Mohammed El Nagy, Casablanca Africa East, 2008.

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	**الملخص باللغة العربية.**	١٤٨٣
٢	**Abstract**	١٤٨٤
٣	**المقدمة**	١٤٨٥
٤	أسباب اختيار الموضوع	١٤٨٨
٥	خطة البحث	١٤٨٩
٦	**المبحث الأول: التعريف بالنزعة الفردية، ونشأتها، وخصائصها.**	١٤٩٢
٧	المطلب الأول : مفهوم النزعة، وأنواعها .	١٤٩٢
٨	المطلب الثاني: أنواع النزعات الإنسانية .	١٤٩٧
٩	المطلب الثالث : نشأة النزعة الفردية .	١٥٠٦
١٠	المطلب الرابع : مفهوم النزعة الفردية عند نيتشه.	١٥١٢
١١	**المبحث الثاني : النزعة الفردية في فكرة وجود العالم الطبيعي والإنسان عند نيتشه**	١٥١٦
١٢	المطلب الأول : النزعة الفردية في فكرة وجود العالم الطبيعي، وفكرة «العود الأبدي» عند نيتشه .	١٥١٦
١٣	المطلب الثاني: النزعة الفردية في وجود الإنسان عند نيتشه.	١٥٢٨
١٤	تعقيب .	١٥٤٦
١٥	**المبحث الثالث** : النزعة الفردية في فكرة وجود الله،	١٥٥٠

	وسيادة الدين عند نيتشه	
١٦	المطلب الأول:النزعة الفردية في فكرة وجود الإله عند نيتشه.	١٥٥٠
١٧	المطلب الثاني:النزعة الفردية في فكرة سيادة الدين عند نيتشه.	١٥٥٦
١٨	تعقيب :	١٥٦٠
١٩	**المبحث الرابع**: النزعة الفردية في الجانب الأخلاقي عند نيتشه.	١٥٦٤
٢٠	المطلب الأول : النزعة الفردية في هدم الجوانب الأخلاقية القديمة والسائدة عند نيتشه .	١٥٦٤
٢١	**المطلب الثاني : النزعة الفردية في فكرة إرادة القوة عند نيتشه .**	١٥٦٩
٢٢	**المطلب الثالث:النزعة الفردية في تقرير فكرة أخلاق السادة والعبيد عند نيتشه**	١٥٧٥
٢٣	تعقيب .	١٥٧٩
٢٤	**المبحث الخامس**: أثر نزعة نيتشه الفردية فى الإلحاد المعاصر .	١٥٨٥
٢٥	الخاتمة	١٥٩٩
٢٦	المصادر والمراجع	١٦٠٣
٢٧	فهرس الموضوعات	١٦١٦

تـم بـحمد الله تعالى